تعاليم الكنيسة

مخطوطات الآباء

مقالات

الأنبا بولس البوشي

أسقف مصر وأعمالها

من علماء القرن الثالث عشر

[الطبعة الثانية]

يقدمها مع تنقيحها وتبويبها

القس منقريوس عوض الله

الأنبا بولس البوشى

أسقف مصر وأعمالها

فى صيف عام ١٩٣٨ م كنت فى زيارة الأديرة البحرية مع لفيف من أساتذة الكلية الأكليريكية وطلابها . وقد لفت نظرى فى دير السيدة المعروف بالسريان أحد الكتب الخطية يحوى مقالات وميامر للأنبا بولس البوشى أسقف مصر ، وهو من علماء القرن الثالث عشر وقد أعجبت أيما اعجاب بهذا المؤلف الذى يحوى اللاهوت والعقيدة والتقوى وروعة التعبير والمنطق . كل هذا فى وقت واحد فتمنيت لو طبع هذا الكتاب وأمثاله لكى يطلع الخلف على ما كان عليه السلف من علم وتقوى . .

* * *

حال الكنيسة فى أوائل القرن الثالث عشر :

مما يؤسف له أشد الأسف أن الكنيسة القبطية قد أصيبت بكثير من التدهور فى أوائل القرن الثالث عشر ، وقد شكا البطريرك الأنبا يوحنا من أن بعض الكهنة قد أفشوا سر الإعتراف فى أيامه ! ! الأمر الذى جعله يصدر تعليماته بإبطال سر الإعتراف حتى ينصلح الحال .

وتنيح هذا البطريرك فى سنة ١٢١٦ م وافتقر الكرسى العظيم إلى الراعى الامين . ولكن حدث انشقاق بين الشعب وتشعبت الآراء وكثرت الفتن . وفى وسط هذه الظلمات لمع نجم وضاء وشخصية كبيرة ، عالم لاهوتى ضليع هو الأنبا بولس البوشى . وقل ما شئت فى صفات هذا العالم البارع والمجادل المقنع والخطيب المصقع .

الأنبا بولس البوشى :

ولا نجد تاريخاً وافياً لهذا الرجل العظيم ولعل الأيام تكشف بأكثر جلاء عن تاريخ واسع لهذا العالم الكنسى . والمعروف أنه من بلدة بوش التابعة لبنى سويف وأنه ترهب فى أديرة الفيوم مع داود بن لقلق الذى أصبح فيما بعد كيراس بن لقلق صاحب التاريخ المعروف والذى كان شؤما على الكنيسة القبطية .

لقد عاصر الأنبا بولس البوشى هذا الرجل الفظيع ابن لقلق ، الذى تاق إلى الكرسى البطريركى ، وصار يبذل فى سبيل الوصول إليه كل إمكانياته .

وكان بولس البوشى الذى نحن بصدده أحد المرشحين للكرسى البطريركى بين منافسين عنيدين هما الأرشيديا كون أبو شاكر بطرس شماس كنيسة المعلقة صاحب كتاب الشفا فيما استتر من لاهوت المسيح وما اختفى ، والثانى هو داود بن لقلق الذى أصبح فيما بعد الأنبا كيراس بن لقلق .

لم يكن الأنبا بولس البوشى متهافتاً على هذا المركز الرفيع . وكانت المعركة الانتخابية حامية وتحزب لكل واحد من الثلاثة فريق من الناس. ومن العجب أن نرى وسط هذه المعمعة القس بولس البوشى وابن لقلق كصديقين حميمين منشغلين فى تأليف كتاب فى أصول الدين وفى كتابة ردود على الخارجين عن الايمان المسيحى .

ولكن ترك ابن لقلق زميله بين كتبه ومحابره ومراجعه ، ومضى هو يصلى الحركة الانتخابية ناراً حامية ليصل إلى مآربه وكان من شدة الخلاف على الكرسى البطريركى أن بقى شاغراً تسعة عشر عاما ونصف عام ! !

حتى مات معظم أساقفة الكرازة ولم يبق منهم إلا ثلاثة أساقفة فقط ! ! وأخيراً انتهت بإنتخاب كيراس بن لقلق فى يونيه سنة ١٢٣٥ م . ليكون البابا الـ ٧٥ من بابوات كرسى الاسكندرية . وكان عهده مشوبا بالأخطاء ، وجر على الكنيسة متاعب كثيرة . رغم أن الرجل كان عالما ضليعا تشهد له فى ذلك القوانين الكنسية

التى وضعها ومؤلفه كتاب الإعتراف المعروف بكتاب المعلم والتلميذ ، ولو أن الأنبا بولس البوشى كان يعاونه فى هذه المؤلفات .

وقد رسم بعض الأساقفة الذين تفخر بهم الكنيسة أمثال بولس البوشى ، والأنبا خريستوذولس أسقف دمياط ، ويؤنس أسقف سمنود ، ويوساب أسقف فوة واضع تاريخ البطاركة .

ولما ساءت تصرفات كيرلس بن لقلق البطريرك عقد عليه الأساقفة مجمعاً وقرروا أن يلازمه أسقفان أحدهما كان بولس البوشى ليعاوناه فى شئون البطريركية .

مؤلفات الأنبا بولس البوشى

والأنبا بولس مؤلفات كثيرة وتراث روحى ضخم ومن حسن الحظ أن معظم كتبه لا زال موجوداً ولو أنها لم تطبع .

لقد كتب فى اللاهوت كتبا كثيرة منها كتاب « الأدلة العقلية التى توصل الإنسان إلى معرفة الإله المتأنس » وهذا المخطوط موجود بمكتبة بودليان فى اكسفورد تحت رقم ٣٨/٥ ولا أدرى هل توجد نسخة أخرى من هذا الكتاب فى مصر أم لا .

وكتاب « العلوم الروحانية » وموجود منه نسخة فى دير السريان .

وكتب كتابا قيماً فى تفسير الرؤيا ويوجد منه نسخة فى المتحف القبطى رقم ٣٦ طقس .

ومنها الكتب الجدلية بين المسيحيين والمسلمين وقد كان من عادة الملوك فى ذلك الحين أن يحضروا بعض علماء المسلمين وعلماء الأقباط ثم يطرحون المسائل الدينية ويتبارى العلماء فى المجادلة بشأنها . ويذكر التاريخ أن الملك الكامل العادل بن أيوب (١٢١٨ - ١٢٣٨ م) دعا كيرلس بن لقلق إلى مجلس يضم علماء المسلمين لكى يجادلوه ويجادلهم فى مسائل دينية وقد اصطحب ابن لقلق معه القس بولس البوشى

حتى يعاونه ويستفيد بواسع اطلاعه فى المجادلة لأن الأنبا بولس كان قوى الحجة سريع البديهة .

وقد رد كيرلس بن لقلق وزميله بولس البوشى على جميع الأسئلة التى وجهت إليهما فى شأن الدين المسيحى وأظهرا براعة نادرة حتى أعجب بهما الملك الكامل كل الإعجاب ، وقيل إن هذه الجلسة كانت سبباً فى تأييد كيرلس ابن لقلق ليكون بطريركا للأقباط .

وكان الأنبا بولس البوشى خطيبا بليغا ، له مواعظ مشهورة فى غاية الروعة وعمق المعنى ، ولها تأثير بليغ على سامعها أو قارئها ومليئة باللاهوتيات والآداب المسيحية والتعاليم السامية التى نحن فى مسيس الحاجة إليها ، وهى التى آلينا على أنفسنا أن نبدأ بطبعها بمشيئة الله . وقد كتب أبو البركات شمس الرئاسة بن كبر فى كتابه « مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة » فى الباب السابع الخاص بالعلماء ومصنفاتهم « بولس البوشى أسقف مصر له سبعة ميامر جيدة على الأعياد السيدية » وهذا بخلاف ميمر خاص بالجمعة الكبيرة .

ونكون بهذا العمل قد أخرجنا هذا القبس الكبير من نور العلوم القبطية من مكانه الدفين . وقد أعطينا هذا العالم الجليل واللاهوتى العميق والمفسر الدقيق والواعظ المؤثر والمعلم الكبير شيئا من حقه علينا من التقدير . لقد أضاء القرن الثالث عشر بنوره الوهاج رغم ما كان فيه من أسباب الظلام ، وكان فاتحة لظهور غيره من العلماء أمثال أولاد العسال .

ولقد سند الأنبا بولس البوشى الأنبا كيرلس بن لقلق الذى جنح نحو المادية رغم علمه وثقافته . سنده بآدابة وكياسته وروحانيته ، ثم أشار إليه أن يعكف إلى دير الشمع ويقضى آخر حياته هناك فيريح ويستريح . وظل الأنبا بولس يحمل المشعل ويحمل المسئولية حتى سلمها إلى الأنبا أثناسيوس الـ ٧٦ .

وإنى إذ أشعر بواجبي نحو كنيستى المحبوبة فى نشر كتب الآباء وقد شجعنى كثير من أصدقائى لأقوم بهذا العمل الجليل ، ولا أنسى تشجيعات الحبر المبارك الأنبا مكسيموس أسقف القليوبية حينما كان أمينا لمكتبة الدار البطريركية ، الذى أمدنى بالكتب اللازمة والمراجع الخطية ، نفع الله به الكنيسة نفعا جزيلا .

وقد استأذنت قداسة البابا المعظم فى طبع هذا الكتاب فشجعنى قداسته بدعواته وتوجيهاته المباركة السامية .

أقدم للقراء الأفاضل هـــذا الكتاب القيم
بل أقدم هـــذه الشخصية النادرة المثال .
إلى محبي كتب الآباء ، وتعـــاليم الآباء .
لعلنا نحيي هذا التراث . . . الجدير بالحياة .
وننشر هذا الضياء . . . الجدير بالانتشار .

القس

متفريوس عوضه الله

✝

باسم الآب والابن والروح القدس اله واحد

ميمر البشارة المحيية للأب المكرم

القس بولس البوشي

صلاته وبركاته تشملنا إلى النفس الأخير . آمين

المجد للقوة الإلهية التى تسود الكل . الكلمة الذى خلق البرايا المنظورة وغير المنظورة . شمس البر الذى لما بدأ أن يظهر متجسداً أضاء المسكونة وأزال عنا ظلمة الضلالة . وطرد عنا نوم الغفلة . وأخاف الوحوش الكاسرة والسراق المردة . وأحادنا عن توعر الهلكة وأرانا طريقا مفضية إلى الحياة الأبدية . أطلب إلى جودك أيها النور الحقيقى الذى من حضن الآب أشرق للخلاص ، أسأل صلاحك أيها المولود من الآب قبل كل الدهور ، الذى سر أن يتجسد ، أتضرع إلى مراحمك أيها العالى فوق كل رياسة وسلطان ، الذى تواضع من أجلنا . أنر عينى عقلى ياذا الضياء . الذى ينير مخادع الظلمة لكيما أتكلم بكرامتك . أعطنى كلمة يا كلمة الآب لكيما أنطق بسر تدبيرك . أفتح فاى يامعطى النطق للخرس لكيما أخبّر بمجدك . أعطنى من الذى لك خاصة يامعطى بسعة من غير امتنان ، وأنا أعطيك من الذى أعطيتنى لأن منك تكون العطايا الصالحة والمواهب التامة .

أعطنى معرفة لكى أعطى تمجيداً لتجسدك الكريم . هب لى نطقا لكى أرسل تسبحة لتواضعك من أجل خلاص جنسنا . ألهمنى فهما لكى أقدم سجوداً ووقاراً لمحبتك التى لا ينطق بها . لأنك أنت هو الطريق والحق والحياة الأبدية . والباب الذى يؤول إلى حظير الرعية الروحانية .

الحق أن سر تدبيرك أيها الإله يعلو كل عقل ، ويفوق كل فهم . وكما أنك

خلقت البرايا وأخرجتها من العدم إلى الوجود ، لا حاجة بك إليها بل تفضلا منك عليها .

فلما تجاوزنا الوصية سقطنا بحكم عدل من النعمة والحياة الأبدية . فلم يقدر مخلوق أن يرد إلينا الحياة التى لا نهاية لها ، لأنها غير ملائمة له ، ولم يكن كذلك إلا الرب الإله الذى به خلق كل شىء وبغيره لم يكن شىء مما كان ، كقول داود النبى : بكلمة الله خلقت السموات والأرض . ثم عرفنا أن الكلمة الذى خلق البرايا هو الذى يتولى تدبير بريته ويجدد خليقته . فقال أرسل كلمته فشفاهم وأنقذهم من الفساد فلنشكر الرب لرحمته وعجائبه فى بنى البشر . وكما أنه من العدم إلى الوجود كونها . ولما فقدت من الوجود الأبدى كان من عدله أن ينقلها من عدم الحياة إلى البقاء الدائم فى الملكوت بلا إنتهاء كما يليق به .

فلم يوصل إلينا ذلك بلاهوته لأننا غير قادرين على احتماله ، بل تفضل وتجسد ، وأوصل لنا الحياة الأبدية بتجسده باتحاده بلاهوته الأزلى . ثم ظهر غالباً للموت والفساد بقيامته المقدسة ، وأوصل إلينا نحن تلك الحياة بالنسبة لذلك الجسد المأخوذ منا . لأنه كما أن الموت الذى قبلناه من أبينا آدم لم يكن غريباً منا بل قبلناه بالنسبة إليه ، كذلك هذه الحياة أيضاً لم تصر غريبة منا . بل صارت إلينا بالنسبة لتجسد الإله الكلمة .

والمعمودية والاشتراك أيضاً بذلك الجسد المحى بأخذنا من سرائره المقدسة ، كما شهد قائلا : إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليست لكم حياة أبدية فلهذا تعهد الصانع صنعته لأنه لا يقدر أحد أن يصلح صنعة يده سواه .

اليوم يا أحبائى كملت نبوة إشعياء النبى القائل : إن خلاصنا ليس بملاك ولا رئيس ملائكة . بل بالرب إله القوات . وأيضاً داود المزمر فى وسطنا اليوم يرتل قائلا : طأطأ السماء ونزل والضباب تحت رجليه . ثم أعلمنا بإعلان أن تجسده كان مخفيا عن الرؤساء والأرواح الشريرة . فقال ينزل مثل المطر على الصوف

وكالقطر إذا هبط على الأرض . أعنى أنه يتجسد سراً ثم يكمل التدبير بعد ذلك بإعلان . وذلك عندما يملأ شرف لاهوته كل المسكونة لأن النبى لم يسكت بل أظهر فى تلاوته القول بعظم فعل الرب للخلاص علانية . فقال : ويكثر العدل والسلام فى أيامه حتى يورث القمر النقص(١) . عنى بالعدل مساواته بين اليهود وسائر الشعوب فى بدء البشرى . وأنه برهم مجانا بالإيمان . وعنى بالسلامة أنه نقض الحائط الذى كان حاجزاً فى الوسط وأزال العداوة وصنع الصلح والسلام بين السمائيين والأرضيين. كـكلمة بولس الرسول . وعنى بالقمر ناموس العتيق ، لأن تلك سميت ليلا كما قال الرسول أيضا : قد مضى الليل ودنا النهار ـ لأن القمر هو ضياء الليل .

فأما المسيح فهو شمس البر كما تنبأ ملاخى قائلا وشمس البر اسمه ـ فلما ظهر بالجسد العجيب لم يبق للقمر الذى كان ممجداً فى الليل بهاء ولا مجد ، كما شهد الرسول قائلا : إن تلك التى كانت ممجدة صارت غير ممدوحة الآن عندما قيست بهذا المجد الفاضل . والرب يقول : أنا هو نور العالم من يتبعنى لا يمكث فى الظلام بل يحيا فى مجد نور الحق .

بحق يا أحبائى إن كرامة هذا العيد عظيمة جداً . لأنه بكر كل الأعياد وأول كل الأفراح، وبدء كل المسرات، وبحق قد سمى عيد البشارة. وليس للسيدة البتول مريم فقط بل ولنا نحن كافة المؤمنين . لأن كل بشارة لقوم إنما هى لهم خاصة ، أما هذه فهى للكافة .

ابراهيم بشره الرب بمولد اسحق ، ولكن لم يصل لنا نحن من ذلك بر ولا خلاص . حنة وعدت بمولد صموئيل النبى . وكذلك أم شمشون الجبار . وزكريا بشر بولادة يوحنا ، ولكن كل واحد من هؤلاء كانت مسرته لنفسه كما قالت اليصابات « إن الرب نظر إلىّ لينزع عارى من بين الناس» . فأما هذه البشارة اليوم

---

(١) بمجىء المسيح وهو شمس البر ظهر عدم كمال الناموس الموسوى الذى كنى عنه بالقمر.

فكائنة لكل المسكونة وكما أن الرب حكم على حواء قائلا لأكثرن أحزانك وبالوجع تلدين بنيك فصار هذا لاحقاً بكل جنسها . كمثل الحكم الذى كان على آدم إذ صار متابعاً لكل جنسه. هكذا عوضاً عن ذلك قال الملاك للسيدة العذراء: إفرحى يا ممتلئة نعمة الرب معك . فذلك الفرح والنعمة صار إلينا نحن كافة المؤمنين . لأن الرب قد صار معنا على الأرض بالجسد العجيب . ورأينا مجده مجداً مثل الابن الوحيد الذى لأبيه الممتلىء نعمة وحقا .

وكما أن الملاك لما بشر الرعاة بمولد الرب قال لهم : هوذا أبشركم بفرح عظيم يكون لكم ولكل الشعوب ، لأنه قد ولد لكم مخلص هو المسيح الرب . وهكذا الفرح بهذا العيد الشريف اليوم . فهو بشارة عامة لكل المسكونة لأنه يبشرنا بإتيان الرب إلينا . واتحاد لاهوته غير المدرك بطبيعتنا ، الطبيعية الضعيفة التى قد هلكت فجعلها قوية غالبة الموت ، وقاهرة لإبليس وجنوده .

اليوم يا أحبائى ينبغى لنا أن نسرّ - لأن فيه افتقدنا الرب مشرقا من العلاء ليضىء للجالسين فى الظلمة وظلال الموت . اليوم سرّ الرب أن يفتقد شعبه للخلاص، ويتعاهد خليقته بالشفاء وصنع البر . ولأنه إذ اشتد المرض وتزايدت العلة وعسر الشفاء احتاج للعلاج من الطبيب الماهر القادر على كل شىء . الشافى النفوس والأجساد. وهو تجسد الإله الكلمة .

فهو ذا الكلمة الأزلية ذو الرحمة . معدن التحنن الكامل من ذى الكمال . القوة التى لا تقهر . الهبة التى لا تتغير . الشبه الذى لا يستحيل . المثال الذى لا يزول. النوع الذى لا يتبدل. الخاصية التى لا يماثلها شىء . القدوس الذى لا يتدنس. صورة الأزلية التى لا تفسد . الضابط الذى لا يحتوى عليه ضياء المجد الذى لا يخمد. شمس البر الذى لا يغيب . نور من نور إله حق من إله حق . مولود غير مخلوق . مساوى الآب فى الجوهر ، وإن كان الآب يسمى إلهاً ، والابن يسمى إلها لأجل

جوهر اللاهوت الواحد . وكذلك الروح القدس . ولكن لا يقال ثلاثة آلهة لأن هذه صفة خواص اللاهوت ، ثلاثة أقانيم لاهوت واحد .

قال أغريغوريوس الثاؤلوغوس : إذا قلت الله إنما أقول الآب والابن والروح القدس . لأن اللاهوتية لا تنعت زائداً عن هذا ولا تنضمر أقل منه . ومع هذا لا نعبد ثلاثة . لئلا نوجد مثل الأمم ، الذين يقولون بكثرة الآلهة . ولا نكون أيضا مثل اليهود الذين ينكرون كلمة الله وروحه لأن الردىء فيهما متساوى وإن كان قولهما مختلفا (١) .

وبهذا نؤمن أن الكلمة مولود من الآب ميلاداً أزليا لا بدء له ، وقد شاء أن يتجسد من القديسة البتول مريم من بيت داود من سبط يهوذا من زرع ابرهيم ، لكيما يستطيع العالم مشاهدته ، ولكى يخلص الشبه بشبهه (٢) فأرسل أمامه رئيس ملائكة مقدس للبشارة منذراً بأن المتجسد هو الرب لأنه حيث يكون السيد الملك السماوى هناك يكون خدامه العلويون الروحانيون .

هلم فى وسطنا اليوم أيها الانجيلى القديس لوقا المطبب بشير الحياة . لأنك الذى أخبرتنا بتدبير التجسد على سياقته أولا فأولا . قال لما كان الشهر السادس أعنى من حبل اليصابات قال أرسل جبرائيل الملاك من عند الله .

يا لهذه الكرامة التى أعطيها هذا الملاك من دون كافة الروحانيين ، لأنه أؤتمن على سر التدبير ، وسلك أمام الرب فى البشارة المحققة ، لأن تفسير اسم جبرائيل فى اللغة العبرانية رجل الله ، وهو سر على التجسد ، بأن الإله متحد بالانسان بالتجسد

---

(١) يقصد المؤلف أن الخطأ واحد عند الأمم الذين يقولون بتعدد الآلهة وعند اليهود الذين ينكرون الثالوث الاقدس .

(٢) أى أن أقنوم الابن اتخذ لنفسه شكل الانسان بتجسده لكى يخلص الانسان بآلامه وهو حامل شكل الإنسان .

العجيب(١). قال إلى مدينة فى الجليل تدعى ناصرة . وهذا ليتم ما قيل فى الأنبياء أنه يدعى ناصرياً . قال : إلى عذراء مخطوبة لرجل اسمه يوسف من بيت داود . ذكر أنها خطبت ليوسف لكى ما يخفى الرب تدبير التجسد عن الشيطان . لأن النبوة تذكر بأن العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعى اسمه عمانوئيل . ولهذا كانت البشارة بعد خروج السيدة العذراء من الهيكل إلى بيت يوسف ليخفى سر الحبل فى ذلك .

وقوله إنه من بيت داود ليعلن أن قبيلة داود كانت محفوظة لم تختلط بالقبائل الأخرى لأجل التجسد . ثم بعد ذلك اختلطت بعد صعود الرب بما يناهز أربعين سنة فى مملكة آسباسيانوس لما أخرب البيت المقدس وقتل اليهود وبدد الفضلة(٢) فى آفاق الأرض . قال واسم العذراء مريم أراد تحقيق الأمر فيها جيداً . إنها من بيت داود بما يأتى بيانه . قال ولما دخل عليها الملاك قال لها : افرحى يا ممتلئة نعمة الرب معك . أعطاها الملاك سلاماً من الله مملوءاً فرحاً ليزيل حزن حواء . وكما أن تلك لما أكلت من عود المعصية لطاعتها لإبليس ، ملك عليها الشيطان ، واستولى على جنسها ، كذلك هذه لما أطاعت البشرى قائلة « ليكن لى كقولك » ، حل فيها الإله الكلمة وملأها من كل نعمة وفرح . وشمل ذلك إلى جنسنا وأنعم علينا بالخلاص مجاناً وسار معنا على الأرض .

قال لما سمعته اضطربت من كلامه وفكرت قائلة ما هذا السلام ، أعنى أنه لم يكن لها مخاطبة أحد لأنها تربت فى الهيكل فى ستر وسكون عابدة الله ليلا ونهاراً . ثم أن الإنجيل أظهر فضلها . وكونها لما اضطربت من صوت الملاك ، لم تدع عنها التحفظ الذى ألفته والسكون الذى تربت فيه . ولم تصرخ ولم تدفع كلامها بالجملة ، فكرت فى نفسها لا غير ، قائلة ما هذا السلام الغريب اليوم ، فخاطبها الملاك بهدوء

---

(١) أى أن معنى كلمة جبرائيل « رجل الله وفيه إشارة واضحة للتجسد لأن اسمه يجمع بين اللاهوت والناسوت ».

(٢) الفضلة أى بقية اليهود الذين تشتتوا فى بلاد العالم.

لائق بها قائلا لا تخافى يا مريم . لأن هكذا جرت عادة المنظر الذى من الله وملائكته الأطهار ، إذا ظهر يزيل الخوف ويعطى هدوءاً وسكوناً . فأما الذى لإبليس فإنه يزيد خوفاً على خوف وقلق على قلق . وبهذا عرف القديسون المنظر الذى من الشيطان وجنوده. فلما سكن الملاك خوفها بدأ يبشرها قائلا : لأنك ظفرت بنعمة من عند الله أعنى أنه اختارها للتجسد الكريم من دون كافة البشر لتكون محلا للإله الكلمة ومنها يظهر الخلاص، فأى نعمة تكون أشرف وأى موهبة تكون أفضل من هذه الكرامة ؟!

طوباك أيتها السماء الجديدة التى على الأرض يا مريم . لأنك استحقيت أن تدعى والدة الإله أم المسيح الرب معاينة الكلمة وخادمته . ذات الشفاعات القوية .

قال : وأنت تقبلين حبلا وتلدين ابنا أعنى أنه منها تجسد بالحق من غير شبه ولا خيال بكمال البشرية . شبيها بنا فى كل شىء ما خلا الخطية . وهكذا تلده ويكمل سر التدبير . وقال : ويدعى اسمه يسوع تفسير يسوع المخلص . وهكذا سمى كنحو فعله كما قال : إن ابن الانسان لم يأت إلا لينجى ويخلص من كان ضالا . ثم بدأ يخبرها بإعلان قائلا هذا يكون عظيما وابن العلى يُدعى، أعنى وإن كان يولد بالجسد فهو ابن العلى لم يزل لأنه إله متأنس ابن العلى سرمداً ، مولود منـــه أزليا. كائن بلا ابتداء ويكون بلا انتهاء . وقوله يدعى ، أعنى بالتجسد عرف سر ابن الله . ثم بدأ يظهر كيفية التجسد بالكمال . وأن العذراء ابنة داود النبى فقال : وليعطه الرب الإله كرسى داود أبيه . فحقق أن البتول لم يكن شىء يماثلها . وكيف يكون ذلك ، لولا تجسد الإله الكلمة الذى شاء أن يتجسد من البتول بغير زرع بشر . كما قال سليمان « الحكمة بنت لها بيتا » .

وإن القديسة مريم لعظم إيمانها فى الله وحسن يقينها ، رغم هـــذا الشىء الغريب الذى لم يكن مثله ، صدقت البشرى وآمنت أن يكون لها ذلك ! ! وأن الله القوى فى كل شىء أيدها بروحه الذى حلّ عليها . فصرفت أشواقها فى الرب .

وتاقت للقول الذى أخبرها به الملاك ، واشتهت أن يكون لها ذلك وأجابته قائلة : « ها أنذا أمة الرب فليكن لى كقولك » . وعند قولها هذا ، حل فيها شمس البر ، لأنه لم يرد أن يغصب الطبيعة التى أعطاها اختيار الإرادة وسلطة الحرية منذ البدء حتى طلبت هى ذلك أولا بشهوة من الله من تلقاء الروح (١) قال وانصرف عنها الملاك . أعنى أنه لما أكمل الرسالة وحل الرب بالتجسد العجيب أذن له أن ينصرف بسلام . لأنه قد أكمل ما يجب عليه من الخدمة التى أرسل فيها .

اليوم يا أحبائى كمل قول داود النبى القائل : « اسمعى يا ابنة واصغى بسمعك وانسى شعبك وبيت أبيك . فإن الملك قد اشتهى حسنك . ثم أعلمها من هو الملك فقال لأنه إلهك وله تسجدين . بحق أنها سمعت ونسيت كل شىء موجود فى هـــذا العالم لما قد صارت اليه من الرفعة والكرامة الفائقة .

ولكن ما هو الحسن الذى اشتهاه الإله الملك الأبدى ؟ هل هو بهاء عالمى ؟ لا يكون ذلك . لأن النبى أخبرنا بذلك الحسن أيضاً فى المزمور قائلا : « جميع مجد ابنة الملك من داخل مزينة . أعنى بهذه النفس الناطقة النقية بزينة الفضائل » .

وبطرس الرسول يكتب ويؤكد على هذه الزينة الناطقة قائلا : « أن تكون زينة النساء ليس بالزينة الهالكة بدوايب الشعر وحلى الذهب ولبس الثياب الفاخرة بل بتزين زينة الانسان الباطن الزينة الخفية التى تكون بالقلب المتواضع. الزينة التى هى عند الله على غاية الكمال » .

هذا هو حسن بهاء البتول مريم ، التى زينت ذاتها بالفضائل . وبهـــاء النفس الباطنة ، وأما فى إنسانها الظاهر فلم تهتم بشىء من أمور العالم قل أو كثر . إنما كان اهتمامها التقرب من ربها ، لتكون طاهرة بجسدها وروحها ، كما يعلمنا الرسول .

---

(١) أى أن التجسد تم فى اللحظة التى سلمت فيها العذراء أمرها لله ووافقت باشتياق وفرح على حلول الابن الكلمة فى أحشائها وأن التجسد لم يتم غصباً فى الطاهرة مريم بل برغبتها وحريتها .

وبهذه استحقت الطوباوية مريم أن تدعى القبة الثانية التى حل فيها مجد الله لأن تلك الأولى التى صنعها موسى كانت معمولة بشقق الحرير والقرمز والأرجوان وغزل كتان ، متقنة بصنعة صانع حاذق . وكانت فيها آنية الخدمة ذهب وفضة ، مع المنارة ، وتابوت العهد من ذهب الابريز مصاغاً . وعمدها من ذهب . القواعد فضة . هيأه بهذا البهاء من داخل . أما من خارج فكانت مستورة بخرق شعر . فكانت ترى من خارجها حقيرة المنظر . ومن داخلها جليلة المقدار والكرامة والبهاء . شهية المنظر ومجد الرب فيها . وهكذا الطوباوية مريم ، كان منظرها متواضعاً عفيفاً ورعاً . أما الباطن فكان جليلا جداً ، وهو ضياء نفسها الملتصقة بالله ، المتطلع عليها ، كما هو مكتوب فى سفر صموئيل النبى : إن الناس ينظرون فى الظاهر وأنا أنظر فى الباطن يقول الرب .

أنت هى العوسجة التى منها كلم الله موسى بنار تضطرم ولم تحترق أغصانها ، ولا تغير لون ورقها . فإن فكر أحد فى حلول الرب فيك فليحد ذهنه إلى تلك العوسجة

الحقيرة ذات الشوك وغير المثمرة . وكيف لم يكلم موسى فى شجرة ذات ثمار ! ؟ وزاد ذلك بقوله : أنا إله ابراهيم وإله اسحق وإله يعقوب . ثم أمره بالهبوط إلى مصر ، وما الدليل على ذلك وصحته إلا عندما هبط إلى مصر وصنع الآيات بأمر الله ، وأخرج الشعب بيد قوية ، فتبين ليس بالقول فقط بل وبالفعل أيضاً أن الذى كلم موسى فى العوسجة هو الرب إله القوات .

أنت هو الجبل الذى شهد عنه دانيال الذى قطع منه حجر بغير يد إنسان الذى هو الرب الحجر الكريم . الذى تجسد منك بغير زرع رجل ، وصار جبلا عظيما وملأ المسكونة . الذى هو كرامة لاهوته المالىء كل البرايا . وقد يقصر بى الزمان وضعف المنطق أن أبلغ مدح كرامتك كما تستحقين أيتها البتول الطاهرة بكل نوع ، القديسة مريم. ها أنى أقدم كرامة ووقاراً وسجوداً للرب الاله الذى تجسد منك . وأسأل طيب صلاحه وكثرة تحننه ، الذى من أجل محبته أتضع لخلاصنا ، وشرف طبيعتنا الحقيرة باتحاده بها ، أن ينظر إلينا بعين التحنن من سماء قدسه . وأن يغفر خطايانا . ويتجاوز زلاتنا . ويسامحنا بهفواتنا ويصفح عن أثامنا . ويساعدنا على العمل بمسرته .

وإن كان ليس لنا دالة أمامه . فنحن نطلب إليه بشفاعتك يا فخر جنسنا . أيتها البتول ذات الشفاعات القوية . لأنك قد ظفرت منه بنعمة . ووجدت عنده دالة أفضل من الملائكة السماويين وكل البرايا الذين كانوا والذين يكونون أيضاً . لأن منك خاصة سر أن يتجسد .

عظيمة هى يا أحبائى كرامة هذا العيد لأنه بكر الأعياد السبعة الالهية . وكما أن فى يوم الأحد ـ بكر الأيام السبعة ـ خلق الله كل البرايا جملة . ثم وزعها فى الأيام الأخرى كما شهد بذلك سفر الخليقة قائلا : « فى البدء خلق الله ذات السماء والأرض وكانت الأرض غير ظاهرة . وكانت ظلمة غاشية وجه الغمر . وروح الله يرف على وجه المياه . وقال الله ليكن نور فكان كذلك . ورأى الله النور حسناً . وفرق الله

بين النور والظلمة ، ودعا النور نهاراً والظلمة ليلا . وكان مساء وكان صباح يوما واحداً . فخلق الله الملائكة من ذلك النور وكذلك الأنوار والكواكب . ثم جمع الماء الذى على الأرض وكان بحاراً . وظهر اليبس . ثم خلق النبات والأشجار من الأرض وأصعدها وأنماها » .

وخلق الأسماك والطير من الماء . ثم من الأرض أيضاً خلق الحيوان وجعل منها الإنسان . وشرفه بالروح العظيمة الناطقة . فقد صح أن الكل جملة كانوا يوم الأحد ووزعها فى الأيام الأخر . وكذلك هذا العيد الكريم . اعنى عيد البشارة كان فيه جملة الأشياء التى كان الله مزمعاً أن يكملها بالتجسد العجيب . فى الستة الأعياد الأخرى الإلهية مع بقية سر التدبير . وذلك حيث هو غير مرئى بلاهوته وغير متألم. سر أن يتجسد . لكى يشاهده الخلق . ويكمل بالجسد سر تدبيره . ويتألم من أجلنا ويقوم . ويعطى لنا الغلبة . والبعث من بين الأموات . أخذ جسد بشريتنا لكى يعطينا موهبة روح قدسه بالميلاد الثانى الذى أفاضه على رسله الأطهار ، بعد كمال الخمسين . تنازل إلينا الذى يعلو الكل لكى يرفع الجسد . الذى كان أسفل إلى علو السموات ويصعده إلى أعلى المراتب . فوق الرؤساء والسلاطين والقوات . وفوق كل اسم يسمى . وأن يصلح بين السمائيين والأرضيين. فبالتجسد أكمل ذلك بأسره . إلا أننا نرى أناساً لا يهتمون بهذا العيد . كمثل بقية الأعياد الإلهية . لكونه يقع فى صوم الأربعين المقدس. إذ يظنون أن كرامة الأعياد بالمآكل والمشارب واللهو العالمى . فليس الأمر كذلك لأن الرب يقول أنظروا لئلا تثقل قلوبكم . بالشبع والسكر والأمور العالمية . فيأتى عليكم ذلك اليوم مثل الفخ . فقد صح بأن كثرة الإسراف فى هذه الأشياء يقسى القلب . ويطرد منه التخشع . وأن للنفس طعاما آخر غير هذا خاصيا يبقى ولا يزول . لأن الرب أيضاً يعلمنا قائلا : « اعملوا لا للطعام الفانى . بل للطعام الباقى لحياة الأبد الذى يعطيكموه ابن البشر فالآن قراءة الكتب التى من تلقاء الروح كرامتكم . الترتيل فى كلام الله فخركم . الوقوف فى الصلوات عزاؤكم . مواظبة الابتهال لله رجاؤكم . اتصالكم به بمثابرة لتذكار اسمه

القدوس غذاؤكم . كما يقول داود إنى إذا ذكرتك تمتلىء نفسى . كشبعها من الشحم والدسم . .

اقترابكم إليه بأعمال الفضيلة شرابكم . كما يقول من كان عطشانا فليقترب إلىّ ويشرب . حفظ أجسادكم بطهارة وعفاف ، بهاء لباسكم . ضبط حواسكم عن أمور الآثام ضياء نفوسكم . بذل أيديكم بالرحمة . صفح ذنوبكم ، كما قال ارحموا ترحموا . ترك الحقد من قلوبكم على اخوتكم دالتكم عند الله وقت صلاتكم وتجسرون أن تقولوا أغفر لنا كما غفرنا لمن أساء إلينا . تغيير العادة الردية بالجيدة شرفكم . مكافحتكم على إبطال الرذيلة ومجاهدتكم على إقامة الفضيلة ، إكليل مجد يوضع على رؤوسكم .

هذا هو عيد الجيل الذى يبتغى الرب . ويطلب وجه إله يعقوب ، وليس بالمآكل والمشارب التى تفسد وتصير زبلا ، فان زادت فقد أورثت أموراً تسوق إلى الخطأ ، كما يعظنا بولس الرسول قائلا : « إن أنتم عشتم بالجسديات فعاقبتكم أن تموتوا . وإن ستم أنفسكم ودبرتموها بالروح نلتم حياة الأبد ، وقال أيضاً لا تسكروا من الخمر الذى منه يكون المجون . بل كملوا أنفسكم بالمزامير والتسابيح والانشاد الروحانية . فلنصنع الآن الأعياد الالهية كما يليق بها . لكى نعيد بفرح مع كافة الأطهار . فى الملكوت السماوى . موضع نياح القديسين الذى تباعد منه الحزن والكآبة .

ونحن نسأل تحنن الرب الذى له القوة أن يحرس شعبنا وأن يساعدنا على مافيه خلاص نفوسنا ، وينيح نفوس أمواتنا ويحفظنا من التجارب مدة ما بقى من حياتنا . وأن يؤهلنا جميعاً نصيبا مع القديسين فى الملكوت الأبدى . والحياة السرمدية . بشفاعة سيدتنا البتول الطاهرة القديسة مريم . التى منها تجسد الاله الكلمة . وشفاعة الرسل الأطهار وكافة الشهداء والقديسين الأبرار ، ومن أرضى الرب بأعماله الصالحة ويرضيه من الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين . آمين .

✝

بسم الآب والإبن والروح القدس الإله الواحد له المجد آمين

ميمر الميلاد المجيد

للأب المكرم القس بولس البوشى

صلاته وبركاته تشملنا إلى النفس الأخير . آمين

المجد لك أيها المولود من الآب قبل الدهور ، الذى ولد اليوم جسدانيا من البتول للخلاص ، المجد لك يا شمس البر . الذى أشرق علينا اليوم بشعاع لاهوته ، وأضاء المسكونة . المجد لك أيها المسيح الملك مالك السموات والأرض ، الذى أخذ صورة العبد لكى يعطى عبيده الحرية التى تليق به . المجد لك أيها الخالق السماوى الذى افتقد خليقته الترابيين وتعاهدهم بالصلاح لكى يصيروا واحداً مع السمائيين ، المجد للذى أضاء شعاع لاهوته ، بالمولد البتولى فى أقاصى الأرض حتى أتوا إليه ساجدين(١) . المجد للذى فحصوا لأجل مولده فى الناموس والأنبياء وأقروا له عابدين . المجد للذى سبح لمولده السماويون وسجد له الأرضيون .

أنا أسأل صلاحك يا من رفع عنا العار والخزى بمولده من البتول . أطلب إلى محبتك يا من تواضع وصار معنا على الأرض ، وهو فى السماء لم يزل ! ! أصرخ إليك يا من صار إنساناً ولم يترك عنه شرف لاهوته الكائن له قبل الدهور . أشرق شعاع لاهوتك فى مخادع نفسى يا شمس البر لأتكلم بمولدك العجيب . أرشدنى يا نور الحق الذى أرشد المجوس لمعرفته ، لأخبر بتواضعك واتيانك إلينا . هب لى فصاحة القول يا من وهب الخلاص للعالم مجاناً . وبتواضعه صار معهم على الأرض كالإنسان . وهو بلاهوته حال فى كل مكان . لكيما أفتح فمى وأكرز بمجيئك الذى صار بكل اعلان لك .

---

(١) يقصد المجوس .

أيها المسيح الذى ولد اليوم من البتول بالجسد . أسبح لك مع الملائكة وإليك أسرع مع الرعاة . ولك أسجد مع المجوس . ومن أجلك أفحص(١) مع كتبة الناموس . ولإتيانك الكريم أترنم مع الأنبياء وأحضر شهاداتهم . وأبشر بك مع الانجيليين وأقـــدم فى الوسط مقالاتهم . باسمك القدوس أفتح فمى . وبذكرك المجيد تتهلل شفتاى . وأصرخ بصوت أفضل من القرن . وأفرح وأسر فى هذا العيد المجيد .

اليوم أذكر ما نطق به الأنبياء وكرز به المرسلون . هلم فى وسطنا اليوم يا يعقوب إسرائيل ، أبو الأسباط ورئيس القبائل . واخبرنا بكرامة مجىء المسيح الحق إلينا . « لا يزول رئيس اليهود من يهوذا ولا مشترع من بين رجليه حتى يأتى الذى له الكل ، وعليه تتوكل الشعوب ، وإياه ترجو الأمم » . بحق إن النبوة واضحة جداً ولا حاجة معها إلى نبوة أخرى . وذلك أن الملك كان فى بنى إسرائيل من قبيلة يهوذا حتى مجىء المسيح . فلما كان مولد المسيح الرب ملكت عليهم الأمم . وكتبوا أسماءهم فى الجزية . كما شهد بذلك الانجيلى المغبوط لوقا قائلا « وفى تلك الأيام ، أعنى مولد الرب بالجسد قال : خرج أمر من أوغسطس قيصر بأنه يكتتب جميع المسكونة » وبين لنا أن الزمان الذى قد مضى لم يكن كذلك . وقال : وهذا الاكتتاب الأول جرى إذ كان كيرينيوس والياً على الشام . أعنى أن هذا كان أول اكتتاب لليهود لتؤخذ منهم الجزية . فكان الأمر من قيصر ملك الروم برومية ليعلمنا أن الروم قد ملكوا عليهم . والمتولى من قبله كيرينيوس مستتب على الشام لكتابة الأسماء وأخذ الجزية ، لأن هيرودس الكبير أبو أرشلاوس ، كان فى ذلك الزمان على الخراج .

وبهذا تم أنه عند مولد المسيح إنتزع منهم الملك والرياسة معا ، وأصبحوا تحت يد ملوك الأمم ! ! لأن الله علم بغلاظة قلوبهم . وكذلك أنهى مجىء الأنبياء لأن

---

(١) لأن كتبة الناموس انشغلوا بفحص النبوات عن السيد المسيح

الناموس والأنبياء إلى يوحنا كما قال الرب . ومنه يبشر بملكوت الله الذى هو مجىء الرب الكريم إلينا . حتى أن اليهود إلى اليوم ، لا يقدرون أن يزيدوا على هؤلاء الأنبياء المعروفين الذين كانوا قبل تجسد المسيح . وهم أربعة وعشرون نبياً وقد صح بهذه العلامة أن المسيح قد جاء . لأنه نزع منهم الملك والرياسة وأبطل مجىء الأنبياء . ونزع من أيديهم البيت أيضاً الذى كانوا يخدمون فيه حسب الناموس العتيق . القائم على ضحايا الحيوان ودم الجداء وتطهير الزوفا ، فأكمل ذلك بجسده ودمه وتطهير المعمودية . فمن أطاع منهم الإيمان قبله . والذين لم يطيعوا بددهم فى آفاق الأرض تحت يد ملوك الأمم يسودونهم بغير تعاهد .

اليوم يا أحبائى كملت نبوات الأنبياء فى مولد الرب من البتول مريم .

إشعياء يعلن ذلك قائلا : هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعى اسمه عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا .

حزقيال النبى يعلمنا بسر عجيب قائلا : إنى رأيت فى المشارق بابا مغلقا مختوما بخاتم عجيب لم يدخله أحد غير رب القوات فإنه دخل وخرج ولم يفتح الباب ولا تغير الخاتم . وهذا سر نبوّته على الميلاد البتولى من الطاهرة مريم من غير زرع بشر . يخبرنا بأن المولود منها هو رب القوات . ولهذا حفظ بتوليتها فى تجسده وفى ولادته منها . وبعد ولادته أيضا ، لأن له الإستطاعة فى كل شىء .

إشعياء يقول « ولد لنا ابن وأعطى لنا غلام الذى سلطانه على منكبيه وهو الإله القوى السلطان . ملاك المشورة العظمى يدعى » . فحقق لنا النبى ميلاده بالجسد . ثم بين لنا أنه الإله القوى السلطان فى القدم والأزلية .

إرميا يخبرنا بأن الإله سوف يكون مع الناس على الأرض ، بالتجسد العجيب قائلا : إن الله سوف ينزل على الأرض ويمشى بين الناس .

وحزقيال يعلمنا بمثل ذلك قائلا : سيعلمون أنى أنا الرب إلههم إذا ظهرت بين الناس وكلمتهم بإعلان .

وعلى مثل هذا أيضا ، تنبأ داود قائلا : الاله يظهر فى صهيون أعنى أن أولئك إنما سموا آلهة لأن كلمة الله صارت إليهم . فأما هذا الذى يظهر بصهيون فهو إله الآلهة بحق ورب الارباب . وكل الكافة بشرت للاهوت وليس بالإسم المستعار .

ومثل هذا قاله إشعياء النبى « تظهر كلمة الله فى أورشليم ومن صهيون تخرج الشريعة » .

وداود يعلمنا أن المولود من الآب قبل كل الدهور هو المولود من البتول بالجسد قائلا الرب قال لى . أنت ابنى أنا اليوم ولدتك — أعنى الميلاد بالجسد — وقال : من البطن قبل كوكب الصبح ولدتك ، وقال : يأتى الله جهراً وإلهنا لا يصمت ، وقال الرب أرسل لك عكاز قوة من صهيون وتملك فى وسط أعدائك . وقال : صهيون الأم تقول إن إنسانا حل فيها وهو العلى الذى أسسها .

وعزيا النبى قال : يأتى الرب حقا ، ويظهر على الأرض .

وناحوم النبى قال : هوذا أنا آتى وأسكن فيك قال الرب ضابط الكل .

وصفنيا النبى قال : تعزى يا صهيون ولا تسترخ يداك ، فإن الرب إلهنا قوى يأتى ويحل فيك وينجيك .

وزكريا النبى قال : يا إبنة صهيون هوذا أنا أجىء وأسكن فيك قال الرب .

وملاخى النبى قال : هوذا الرب يأتى ويشرق لاتقيائه وشمس البر اسمه .

بحق يا أحبائى إن شمس البر قد أشرق لنا اليوم بالميلاد من البتول . المولود من الآب قبل كل الدهور ميلاداً أزليا بلا ابتداء لا يدرك ولا يحد له زمان . ولد اليوم للخلاص الذى لا يحوى ولا تدركه العقول استعلن اليوم متجسداً . المرهوب من القوات العقلية . ويعلو كل رياسة وسلطان ويفوق شرف لاهوته كل البرايا . شاء أن يتنازل ويخالف طبيعتنا المسكينة الذى هو جالس على كرسى مجـــده . فوق أعلى السموات ظهر بين البشر ولم يترك علو شرفه . بل هو يملأ الكل ببساطة لاهوته غير المحتوى عليه .

عظيمة جداً هى كرامة هذا العيد المجيد . اليوم أيها الأحباء يجب علينا كلنا إكرامه

وتشريفه ، ونبتهج فيه ونُسرّ لأنه إن كان رؤساء هذا العالم وملوك الأرض الذين يموتون وتزول رياستهم نجدهم يكرمون تذكار مولدهم ويذكرونه بينهم مع خواصهم فى كل عام كما كتب « لما وافى مولد هيرودس الملك صنع وليمة لعظمائه ولمقوى الجليل ورؤساء ملكه » فبالأحرى يحق علينا من الفرح والمسرة ، أن نعيد بكل اهتمام حسن فى يوم تذكار مولد ملك الملوك ، ورب الأرباب ، وسيد الرياسات الذى يسود بجبروته كل البرية ولا سيما أن تجسده ومولده لم يكن من أجله ، بل من أجلنا نحن ، ومن أجل خلاصنا ، نزل من السماء ، وتجسد من مريم العذراء ، وولد جسدانياً لكى يولدنا نحن روحانيين . تواضع لكى يرفعنا . اتحد بطبيعتنا الحقيرة لكى يعطينا نحن موهبة الروح القدس . وليس هذا المجلس الجليل اليوم خلواً من خواصه(١) ورؤساء مملكته الأبدية ! ! بل هم حاضرون ومعنا متكلمون وبيننا ناطقون !! لكى يفرحوا بأقوالهم التى أعطاهم إياها الروح . ومن هم أولئك ؟ هم أنبياؤه الأطهار ، ورسله الأفاضل ، وخواصه الأبرار ، المطلعون على سره ، الذين منحهم موهبة روح قدسه . أما الأنبياء فقد تقدمت دعوتهم . أولئك الذين أنبأوا بالروح على مجيئه الكريم . وهوذا ابتدأ بدعوة الرسل الموالى السادة رؤساء وأئمة كل المسكونة . أنهار ماء الحياة كما تنبأ حزقيال النبى قائلا : الجميلون فى انذارهم . وكما تنبأ ناحوم النبى قائلا: ما أجمل أقدام المبشرين بالخيرات الذين خرجت أصواتهم فى كل الأرض وبلغ كلامهم أقطار المسكونة .

هلموا الآن أيها الانجيليون المبشرون بالحياة ، لكيما نأخذ منكم سياقة القول لأنكم معاينون الإله الكلمة وخدمه وخواصه ، وبكم تستنير العقول .

متى الرسول الانجيلى يشرح لنا قائلا لما ولد يسوع فى بيت لحم يهوذا أراد بذكر بيت لحم ليبين أن كتب الأنبياء ذكرت أنه فى بيت لحم يولد ، لأنه خاصة دون

---

(١) يقصد أن الانبياء الذين تنبأوا بمجىء المخلص هم حاضرون الاحتفال بعيده المجيد .

الانجيليين كتب انجيله عبرانياً . وكذلك ذكر النسبة ، وبدأ بها من ابراهيم لان اليه خاصة تنتهى النسبة فى تناسل العبرانيين لا غير .

أما لوقا لما كتب انجيله يونانياً لم ير أن يحزن الأمم الذين آمنوا بالمسيح بأن المسيح ليس منهم حسب الجسد ، ولذلك ابتدأ من أسفل وهو صاعد فلما بلغ إلى ابراهيم ، لم يقتصر على ذلك ، بل أوصل النسبة إلى نوح لأنه جاء أباً لكل القبائل والألسن . ثم زاد ذلك فلسفة بتأييد الروح فانتهى إلى آدم ، لكى يشرح لهم نسبة التوراة بتلخيص ، ويفرحنا نحن كافة المؤمنين أن المسيح تجسد من نسل آدم أبينا كلنا وسمى آدم الثانى ، ليكون أباً ورئيساً لكل الأحياء ، كما يلائم لاهوته ومقدم كل الخيرات والسابق فى البعث من بين الأموات .

ومتى لما كتب انجيله عبرانياً ببيت المقدس شرح الأمور لليهود الذين آمنوا بما فى الناموس . ثم ذكر فى النسبة امرأتين من الأمم ، وهما ثامار وراحاب ، ليبين لهم أنهم اشتركوا مع الأمم فى التناسل وأن جنسهم منهم ، فلا يأنفوا أن يشاركوهم فى الإيمان ، ويخالطوهم لا سيما أن المعمودية قد طهرت الجميع . ثم بدأ يتكلم على شىء فشىء ، ويأخذ عليه الشهادة من الأنبياء فقال « لما ولد يسوع المسيح فى بيت لحم يهوذا فى أيام هيرودس الملك ، أراد بذكر هيردوس لما حدث له مع المجوس وبحثه عن المولود وقتله الأطفال .

قال « إذا مجوس أتوا من المشرق إلى أورشليم قائلين أين هو المولود ملك اليهود لأننا رأينا نجمه فى المشرق ووافينا لنسجد له » .

يا لهذا السر العجيب ، والسياسة الإلهية ، وكيف دبر الله الأشياء بلطف ، واجتذب اليه هؤلاء المجوس من الجانب الذى هم متمسكون به . فلهذا اجتذب اليه هؤلاء المجوس من صنعتهم التى فيها تربوا ، وهم بها مغتبطون ، وذلك أنهم كانوا من بلاد فارس من جنس بلعام العراف . وكان عندهم كتب تعليم منه ، وكانوا يرون مع هذا علم تسيير الكواكب ، إلا أنهم قرأوا وفهموا عن المسيح الملك الحقيق ، ولم

تمكن قلوبهم مائلة لغواية عباده الأوثان . ولما علم الله صحة يقينهم ، وأنهم يذعنون للحق أظهر لهم قوة سمائية شبه نجم ! ! ولم يتقدم مثله شيء فى كافة الكواكب وهذا يدل على أن الذى يولد فى ذلك الحين يسود كل الممالك جميعاً والرئاسات . ولا يكون لملكه انقضاء . والدليل على أنه قوة من الله ولم يكن ضمن الكواكب الظاهرة ، أن أفعاله كانت تختلف عن سائر النجوم .

أول ذلك أنه كان يظهر لهم نهاراً ويختفى ليلا ، وهذا يدل على أن المولود هو نهار وشمس البر ، ثم كان يسير من الشمال إلى اليمين منحرفاً قليلا إلى الغرب ، سائراً من بلاد فارس إلى بيت المقدس . وهذا يدل على أن كماله يكون بأورشليم . وكان يسير بسيرهم ، ويقف لوقوفهم . وهذا يدل على أن الرب يلاطف البشرية ، ويكمل الأشياء الجسدية وكان سيره عجيباً منخفضاً بالقرب منهم . وهذا يدل على اتضاع الرب المولود بالجسد وكونه قد صار معنا على الأرض وهو يعلو الكل بلاهوته . وكان قربه منهم لكى يتقدمهم كمثل مرشد لهم إلى الموضع الذى يقصدونه مستقيمين بلا إعوجاج ، ليدل على أن المولود هو الذى يتقدم أمامنا فى كل الخيرات ومرشد لنا إلى أورشليم العليا ـ ملكوت السموات ـ كما قال أنا هو الطريق والحق والحياة . ومع هذا كله لم يقدر ضوء الشمس أن يخفيه . ليدل على أن المولود يعلو ويفوق كل بهاء وحسن . ويفضل على كل اسم مما يرى ومما لا يرى . وكما تنبأ عنه داود قائلا : إنه بهى فى الحسن أكثر من بنى البشر . أعنى وإن كان يظهر بالجسد ووجد بالشكل كالانسان فهو يفوق الكل ببهاء لاهوته .

ولما أوصلهم النجم إلى أورشليم اختفى عنهم بالتدبير . لكى يبشروا بميلاد المسيح الرب لأولئك الذين كانوا ينتظرونه ـ أعنى بنى إسرائيل الجسدانى ـ ليدل على أن الشعوب تفوقهم فى الإيمان وتفضل عليهم . وأن المجوس لكثرة اجتهادهم ومحبتهم لنظر المسيح المولود ، لما اختفى عنهم النجم لم يصبروا ، بل سألوا كمثل رسل مبشرين قائلين أين هو المولود ملك اليهود . وذلك لأنهم حققوا أمره جيداً . ولهذا تحملوا

السفر الطويل والعناء الكبير . ولم ذلك ؟ قالوا لأننا رأينا نجمه فى المشرق . ولم يقولوا أتينا لننظره ، بل قالوا أتينا لنسجد له . أعنى أن النجم ظهر لهم أولا من مشرق السماء وأقبل نحوهم لأنهم كانوا بأرض فارس كما تقدم القول ناحية الشمال منحرفاً إلى ناحية المشرق . يدل على أن المولود من السماء أشرق علينا . وردنا من الشمالى إلى اليمين . ثم أقروا أنهم أقبلوا إليه ساجدين . ليدل على معرفتهم به باليقين .

قال الكتاب المقدس . فلما سمع هيرودس اضطرب ، وذلك لقلة فهمه ظن أنه ملك أرضى ، ينزع منه الملك ويبيده هو وجنسه بأسره ، ولم يفهم أنه الملك الأبدى الرب من السماء . القائل لم آت لأهلك نفوس الناس بل أحييهم . وقال أيضاً نفسى أعطى دون خرافى . وكذلك أورشليم اضطربت بأسرها لما سمعوا أن المسيح المنتظر قد ولد ، وأن الفرس أقبلوا إليه ساجدين ، ثم أن هيرودس جمع رؤساء الكهنة كتبة الناموس الذين درسوا الكتب جيداً . واستخبر منهم أين يولد المسيح .

يا لهذا التدبير الإلهى ! . . كما اجتذب إليه المجوس من الأشياء التى بيدهم(١) كذلك أراد أن يجتذب بنى إسرائيل أيضاً بواسطة الذى بيدهم ، وهى كتب الناموس والأنبياء ، الذين هم بها مؤمنون ، كما قال لهم الرب : فتشوا الكتب التى تظنون أن لكم بها حياة أبدية فهى تشهد لى . وبهذا أخفى النجم عن المجوس حتى يذيعوا ذلك . فلما فحص رؤساء الكهنة جيداً ، أقروا بالحق ليكون ذلك شهادة عليهم قائلين : فى بيت لحم يهوذا يولد المسيح . كما هو مكتوب فى ميخا النبى : وأنت يا بيت لحم أرض يهوذا لست بصغيرة فى ملوك يهوذا لأن منك يخرج المدبر الذى يرعى شعبى إسرائيل .

انظروا إلى إيضاح هذه النبوة . وكيف عظم بيت لحم مع صغرها . ولم ذلك ؟ قال لأن منها يخرج المدبر راعى إسرائيل . هذا الذى صرخ إليه داود النبى قائلا :

---

(١) أى بعلم النجوم الذى كانوا يعرفونه فأظهر لهم نجماً علامة مجىء المسيح له المجد . كذلك أراد أن يجتذب اليهود عن طريق النبوات .

« يا راعى إسرائيل ، الذى هدى يوسف كالخروف أنظر الجالس على الكاروبيم . استعلن قدام إفرايم وبنيامين ومنسى . أظهر قوتك وتعال لخلاصنا » . وهذا الفحص قد كان عند اليهود متواصلا بمثابرة كما شهد بذلك يوحنا الإنجيلى قائلا إن قوماً منهم قالوا هذا هو المسيح وآخرون قالوا لعل المسيح من الجليل يأتى . ألم يقل الكتاب إن من نسل داود من بيت لحم « خاصة » قرية داود يأتى المسيح .

حينئذ هيرودس لأجل خبثه دعا المجوس سراً وتحقق منهم الزمان الذى ظهر لهم فيه النجم ـ وذلك مكر منه ـ ثم أرسلهم إلى بيت لحم كما شهد بذلك كتبة الناموس وأحبار الشعب . قال لهم امضوا وافحصوا عن الصبي بإجتهاد فإذا وجدتموه فاخبرونى لآتى أنى أيضاً وأسجد له . أراهم فى الظاهر أنه كان موافقاً لهم فى كل شىء . أما فى الباطن فكان ـ شراً منه وخبثاً ـ يروم قتله . وظن أن ذلك يتم له جهلا منه . فأما المجوس لما سمعوا بأن كتب الأنبياء شهدت بأن المسيح يولد فى بيت لحم ، صدقوا ذلك بعظم إيمان . ومضوا قاصدين الموضع ولأن الله أراد أن يثبت لهم ذلك يقينا بالعيان ليعظم إيمانهم أظهر لهم النجم على هيئته الأولى ! ! كما شهد الكتاب المقدس قائلا ولما ذهبوا وإذا النجم الذى رأوه فى المشرق يتقدمهم حتى جاء ووقف حيث كان الصبى ! !

أنظر الآن ، إن هذا النجم قوة من الله أظهرها لهم . وكيف هو يسير أمامهم قريباً منهم مرشداً لهم حتى جاء ووقف فوق البيت الذى كان المولود نازلا فيه . ولما رأوا النجم فرحوا فرحاً عظيما جداً لثبات يقينهم ، وزوال الشك منهم ، فلم يحيدوا يمنة ولا يسرة ، بل دخلوا البيت الذى كان الصبي فيه . ولم يستقصوا من أحد . فلما رأوه مع مريم أمه خروا وسجدوا له من غير شك فيه ، لم يروا حوله حشوداً ولا جيوشاً لذلك الملك العظيم . الذى تعبوا من أجله وقطعوا هذه المسافة البعيدة . ولم يشاهدوا زخارف كما يوجد عند رؤساء العالم . بل خروا له ساجدين إذ ثبت عندهم بصحة اليقين أنه المسيح بالحقيقة مخلص العالم بعدة دلائل . .

أولها بما عندهم من علم النجوم .

والثانية بالكوكب الذى كان يسير أمامهم ووقوفه على المكان الذى هو فيه .
والثالثة بشهادة الأنبياء كما أخبرهم كتبة الناموس .

ثم قدموا إليه الهدايا ذهباً ولباناً ومراً . لأنهم اختصروا على هذه الثلاثة الاصناف .

لم يقل الكتاب المقدس إنهم قدموا ثياباً فاخرة ولا شيئا من كل ما يهدى للملوك ، وإن كانوا قادرين على كل ذلك ، بل أضمروا قائلين :

إن قبل الذهب فهو ملك .

وإن قبل اللبان فهو إله .

وإن قبل المر فهو علامة أنه قابل الموت من حيث لا يقهره الموت لانهم رأوا أن ملكه لا ينقضى كما قال اليهود للرب ، إنا سمعنا فى الناموس أن المسيح يدوم إلى الابد .

فقبل منهم الرب الثلاثة الأصناف جميعا .

فآمنوا أنه المسيح الملك . وآمنوا أنه الإله مخلص العالم . وآمنوا أنه يقبل الموت من حيث لا يقهره ، ولا تقوى عليه شوكة الموت بل هو غالب لم يزل .

وأن ملاك الرب ظهر للمجوس ليلا وأوصاهم أن لا يرجعوا إلى هيرودس وأشار إليهم بالذهاب فى طريق أخرى إلى كورتهم لأن الرب إنما أرشدهم إلى أورشليم ، ليكونوا مبشرين بمولده الكريم . فلما أكملوا ذلك أمرهم أن يذهبوا بسلام فى سكون ويكونون له أيضاً مبشرين فى أرضهم .

أما لوقا الانجيلى فإنه ذكر يوم مولد الرب نفسه وكيف ولد فى مغارة ووضع فى مذود البهائم ، ليرد عقلنا البهيمى إلى معرفة لاهوته الأزلى . ثم ذكر كيف ظهر ملاك الرب للرعاة ليلا وبشرهم قائلا : هوذا أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لكم ولجميع الشعوب ، لأنه قد ولد لكم اليوم فى مدينة داود مخلص هو المسيح الرب .

فشهد أن هذا الفرح عام لكل الشعوب . ولم ذلك ؟ . لأن المخلص صار اليوم مع البشر على الأرض ، لكى ينقل رتبهم إلى ملكوت السموات .

وللوقت بغتة تراءى مع الملاك أجناد كثيرون سماويون يمجدون الله ويقولون « المجد لله فى العلا وعلى الأرض السلام وفى الناس المسرة » فمجدوا ملكهم السماوى لأنه حيث يكون فهناك يكون خدامه العلويون وأوضحوا بهذا التقديس تمجيداً واحداً مساويا للثالوث الأقدس الواحد فى اللاهوت .

إذ أوصلوا المجد للآب الكائن فى العلا .

والابن ملك السلام الذى صار على الأرض . بالمولد من البتول وهو فى السماء بلاهوته لم يزل .

ومسرة موهبة الروح القدس الذى هو مزمع أن يحل فى المؤمنين بالمولد الثانى .

فأسرع الرعاة وشاهدوا راعى الرعاة الأعظم لرعيته كما قيل لهم . كما قد أسرع الملوك أيضا وسجدوا للملك السماوى الأبدى .

أما يوحنا الانجيلى فإنه أخبر بأنواع الاتحاد العجيب قائلا « الكلمة صار جسداً وحل فينا » أعنى أنه لم يصر جسداً من حيث الاستحالة بل من حيث الاتحاد بقوله وحل فينا . ثبت بهذا تجسده أنه منا تجسد ثم قال : ورأينا مجده مجداً مثل الابن الوحيد الذى من الآب الممتلىء نعمة وحقا . أعنى وإن كان قد ولد بالجسد وحل فى بشريتنا ، فلم يترك عنه مجد لاهوته . بل قد عاينا مجده المملوء من نعمة لاهوته وحق ربوبيته . كما قد عايناه متجسداً أيضا . هذا الذى سرّ أن يستعلن ويكلمنا شفاها.

أما بولس الرسول فإنه أوضح المعنى قائلا « بأشباه كثيرة وأنواع شتى ، كلم الله آباءنا على ألسنة أنبيائه فى قديم الدهر ، ولما أتت هذه الأيام الأخيرة كلمنا بإبنه » أعنى أن أولئك كلهم بمثال شبه ما هو مزمع أن يكون . وها هنا الحق نفسه استعلن . وإذا سمعت الأيام الأخيرة لا تظن فروغ العالم وكمال الأزمان ، بل إنما

أعنى آخر أيام العتيقة لأن غايتها المسيح وهو كالها . ثم بدأ بناموس جديد لا يكون له انقضاء كما يلائم واضعه القائم به .

ثم أن الرسول يبين أنه ابن خاص مولود من الآب أزلى ليس له ابتداء ، مساوى الآب فى الجوهر . فقال : الذى جعله وارثا لكل شىء وبه خلق العالمين وهو ضياء مجده وصورته الأزلية وممسك الكل بقوة كلمته .

أنظروا إلى قوة فهم الرسول المتكلم بالحق بالروح . كيف لم يبق شيئا يليق بلاهوته إلا وقد أوجبه للكلمة المتجسد ضياء مجد اللاهوت غير المدرك وصورته الأزلية وضابط كل الأشياء والإحتواء عليها وممسكها . هذا الذى من أجلنا خاصة تجسد وولد من البتول . فليخز الآن الذين ينكرون لاهوت المسيح وليخز أيضا

الذين ينكرون تجسده . أعنى مانى ومرقيان(١) إذ الرسول يعلن تجسده قائلا : إنه لم يأخذ من الملائكة ما أخذ بل من زرع ابراهيم وقال أيضا إنه صار شبيها بنا فى كل شىء ما خلا الخطية .

طوباك أيتها الطاهرة البتول مريم كمثل صوت نبوتك القائلة : إنه من الآن جميع الأجيال تطوبنى ، وبحق استحققت كل طوبى واكرام . لأنك سميت أم الذى هو كائن قبل الدهور ، المولود أزلياً من الآب بلا ابتداء ، ولد منك بالجسد للخلاص يا خادمة الرب ومعاينته ووالدته . أنت أرفع من السمائيين ، وأجل من الكاروبيم ، وأفضل من السارافيم ، وأعظم من طغمات الملائكة الروحانيين ، وبمجدة أكثر من رؤساء الآباء والنبيين ، وزائدة فى الكرامة على التلاميذ الأفاضل المرسلين .

أنت فخر جنسنا ، بك تفتخر البتولية ، وبك تكرم الطهارة والعفة . أنت تابوت العهد الذى فيه العشر كلمات المصفح بذهب إبريز نقى . أنت الإناء الذهب المملوء من المن المخفى النازل من السماء . إبريز نقى التى هى كرامة اللاهوت الحال عليك . أنت عصاة هرون التى أورقت من غير غرس ولا سقى ولا حرث . الذى هو تجسد الكلمة منك من غير زرع بشر . أنت هى القضيب الذى نبت عن أصل يسى ، وأينع الزهرة التى تفوق كل عطر وطيب .

أنت هى صهيون الأم التى حلّ فيها الإنسان بالجسد وهو العلى الذى أسسها كما شهد داود .

أنت هى السحابة الخفيفة التى هبط عليها الرب إلى مصر كما تنبأ أشعياء .

أنت هى الباب المغلق بخاتم البتولية الذى منها ولد رب المجد وحفظ بتوليتها دائماً كما عاين حزقيال النبى .

---

(١) ينطبق على هذه الهرطقات هرطقة شهود يهوه الذين ينكرون لاهوت السيد المسيح وأنه الإله المتجسد .

أنت هى صهيون التى حل فيها الرب الإله القوى كما أوحى إلى صفنيا .

أنت هى السماء الجديدة التى منها أشرق شمس البر لاتقيائه كما أعلن ذلك ملاخى .

وقد يقصر بى الزمان أن أتكلم بكرامتك يا من تفوق كل كرامة . أنت تفضلت على كل الخلائق التى ترى والتى لا ترى لأجل عظمة كرامة الرب الإله المسجود له ، الذى اصطفاك وولد منك ، لأن الذى تتعبد له كل البرايا سرّ أن تدعى له أماً . من أجل هذا كرامتك جليلة وشفاعتك زائدة فى القوة والإجابة كثيراً ... ! !

وأنت لعظم فضل كرامتك ، وإذ لا أقدر أن أبلغ فى مدحك إلى الغاية أرغب الاختصار .

عظيمة هى يا أحبائى كرامة هذا العيد الشريف اليوم حتى أن تذكاره فى كل عام يفرح القلب ويسر المؤمنين بإتيانه ، لأن فيه استعلن لنا شمس البر وأشرق علينا من البتول بالميلاد الجسدانى . فيجب علينا أن نعيده بكل نقاء لنشارك الميلاد البتولى المقدس . ونعلم فضل الطهارة وكرامتها عند الله ، لأن من طهارة البتول مريم سر الرب أن يتجسد منها . ولم يأنف أن تدعى له أماً .

فلهذا يجب علينا أن نتحفظ بقدر قوتنا ، لأنه قدوس ويحب للأطهار ، لأنه مكتوب كونوا أطهاراً فانى أنا طاهر يقول الرب . وفى القديسين يحل كالمكتوب أيضا ، ولحافظى وصاياه يتخذهم مسكنا كما شهد بذلك ، وعلى المتضع الخائف منه ينظر بعين التحنن ، كما تكلم على فم النبى قائلا على من أنظر يقول الرب ، إلا على المتضع الخائف من كلامه والطالبين إليه بأمانة ، هؤلاء يستجيب لهم كما شهد بذلك قائلا : اسألوا تعطوا . أطلبوا تجدوا . إقرعوا يفتح لكم .

فلنحفظ أجسادنا طاهرة من أجل الرب الذى ولد من البتول القديسة ولنحفظ نفوسنا عفيفة من الفكر الردى من أجل وقار التى اتحد بجسدها كى يقربنا إلى مجد لاهوته الأزلى غير المدرك . لنحفظ حواسنا سالمة من المعايب التى هى النظر والسمع والنطق والشم واللمس ، لأجل كرامة الذى طهر البشرية جسداً ونفسا وعقلا بإتحاده

بها . ولأجل كثرة تواضعه الذى لا يحد لم يأنف أن يسمينا إخوته كما هو مكتوب إنى أبشر باسمك إخوتى . فلهذا يجب علينا أن نعرف الكرامة التى صارت إلينا ، ولا نتهاون بها ليكون لنا أفضل من ذلك بأضعاف شتى . لأن من له سيعطى ويزداد فلا يكون الآن عيدنا باللهو والبذخ العالمى . بل بالأشياء التى تليق بالأطهار ولا سيما أننا قد حفظنا نسك الصوم الذى مضى قبل هذا العيد الشريف . فلنكمل ذلك بورع وخوف الرب ، بمد أيدينا لمواساة الضعفاء حسب ما يمكننا . نتعاهد الذين فى السجون . لنفد فاقة المقلين . نصنع صلحاً وسلاما مع أخوتنا من أجل الرب الذى أتى وصنع صلحاً بين السمائيين والأرضيين حتى أن الذى ولد بالجسد يقربنا إليه ، ويجعلنا بنى الآب السمائى بالروح .

ونحن نسأل الرب يسوع المسيح بشفاعة العذراء مريم ، الذى ولد منها بالجسد لأجل خلاصنا ، أن ينظر إلينا بعين الرحمة ويغفر خطايانا ويسامحنا بهفواتنا ويحرس ما بقى من حياتنا ، وأن يحفظ جميعكم ويرزقكم أعمالا مرضية ، وأكاليل مضيئة ، ويجعل لنا أجمعين حظاً ونصيبا مع كافة قديسيه فى الملكوت الأبدى والحياة الدهرية وينيح نفوس كافة بنى المعمودية بصلوات الرسل الأطهار ، وكافة الشهداء والقديسين الأبرار والسواح والمجاهدين ، وكل من أرضى الرب بأعمال صالحة من الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين آمين .

✝

بسم الآب والإبن والروح القدس الإله الواحد له المجد آمين

ميمر الغطاس المجيد

للأب المكرم القس بولس البوشى

صلاته وبركاته تشملنا إلى النفس الأخير . آمين

المجد لقدس القديسين الذى قدسنا بالميلاد الثانى وحلول الروح القدس عندما حل فى نهر الأردن بالعماد .

المجد للأزلى الذى ولد جسدانيا ليلدنا روحانيا بالعمودية المقدسة عندما تعمد من عبده يوحنا وصار لنا طريقا للبر والإرشاد .

المجد للذى تواضع وأتى إلى الأردن ليكمل كل البر . الذى ببره تبررنا من الاشجاب .

المجد للذى أظهر لنا سر الثالوث على نهر الأردن بالإعلان(١) .

المجد للذى طهّر المياه بحلوله فيها وقدس العناصر وكل الأرض بمشيه عليها.

المجد لك أيها المسيح الرب الذى تواضع من أجل محبته للبشر ، وجدد الخليقة بالميلاد الثانى ، الذى لا يبلى ، الذى هو من فوق من عند أبى الأنوار .

لك أبارك وأقدس يا من نزع عنا العار وجعلنا بنى نور ونهار .

لك أعظم وأرفع يا من هو فوق كل رئاسة وقوة وسلطان .

شاء أن يتواضع ويعتمد من عبده يوحنا . وعلمنا سيرة الإتضاع الذى به نخلص من مكيدة الشيطان .

---

(١) أى بظهور الثالوث الاقدس .

أعطنى معرفة يا من بغيره لا أقدر على شىء لأتكلم من أجل أعمالك التى تفوق كل حسن وبهاء .

هب لى فهماً يا معطى كل فضل لأنطق على تدبير أعمالك التى أعلنتها .

امنحنى موهبة يا من امتلاؤه يفيض بكل النعم الروحانية لأخبر بتواضعك أيها القدوس علانية .

عظيمة هى كرامة هذا العيد المجيد أيها الإخوة الأحباء ، وهو يسمى عيد الظهور لأن فيه ظهر سر الثالوث ، والذى كان رمزاً فى كتب الأنبياء ظهر لنا اليوم علانية باستعلان ، لأجل أن الابن المتجسد أعلن كل ما كان مستتراً ، والمثال صار حقاً وكمالا ، والأشياء التى كانت مخفية عن الحكماء والفهماء ظهرت الآن للأطفال ! !

أول ذلك عظمة الثالوث القدوس ، الواحد فى اللاهوت مبدأ الأشياء وراسمها وكمالها استعلن لنا اليوم . الابن فى الأردن اعتمد . الآب فى السماء يشهد له قائلا : « هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت » ، والروح القدس شبه حمامة بارك ، ليدل على أن الروح كامل بأقنوم .

ولماذا ظهر بشبه حمامة خاصة ؟ !

ذلك لأجل وداعتها دون غيرها كما قال الرب « كونوا ودعاء كالحمام » . وحتى كل من يحل عليه الروح يكون هادئاً وديعاً مسكناً للروح القدس . سالكا فى أوامر الرب كما يعلمنا قائلا « تعلموا ، لا من ملاك ، ولا من نبى ، ولا من رسول ، بل منى خاصة فإنى وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم » .

هذا الثالوث الاقدس الذى به آمنا وباسمه اعتمدنا على المثال الذى كان فى الاردن كما أمر الرب رسله الاطهار قائلا « امضوا وتلمذوا جميع الامم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس . فمن آمن واعتمد خلص . ومن لم يؤمن يدن » . وقال أيضا

«الحق الحق أقول لكم إن من لا يولد من الماء والروح لن يعاين ملكوت الله» ، ثم عرفنا أن هذا الميلاد هو غير الميلاد الجسدانى . وقال : لأن المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح روح هو .

ولأجل شرف هذه الولادة المقدسة يعلمنا يوحنا الانجيلى قائلا : « الذين قبلوه أعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله وليس هم من دم ولا من هوى لحم ولا من مشيئة رجل بل من الله ولدوا » . هذا الذى به نرث ملكوت الله . لأن لحماً ودما لا يرثها كما قال الرسول ، بل الذين ولدوا بالروح . ولذلك لما أراد الرب أن يستعلن للشعب بعد كمال ثلاثين سنة لمولوده بالجسد ، ابتدأ أولا باستعلان الثالوث الواحد فى اللاهوت ثم أرانا الطريق الكاملة فوق كل كمال . أعنى كيفية الميلاد الثانى مبتدأ الإيمان وأربون إرث البنوة التى بها صار العتق والحرية .

هلموا الآن أيها الانجيليون الأربعة جميعا ، أربعة أنهار الحياة الخارجون من ينبوع الفردوس العقلى الذين رووا كل المسكونة وأخبرونا بكيفية كرامة هذا العيد المجيد اليوم .

متى الانجيلى يخبرنا بإعلان البشرى بالتوبة قائلا : وفى تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز فى برية اليهودية قائلا : توبوا فقد اقترب منكم ملكوت الله، لأن هذا الذى قيل عنه فى إشعياء النبى: « صوت صارخ فى البرية سهلوا طريق الرب واصنعوا سبله مستقيمة » . أعنى أن يوحنا أقبل من البرية أمام الرب كما كتب لوقا الانجيلى عنه « إنه أقام فى البرية إلى يوم ظهوره لإسرائيل » . وقال أيضا حلت كلمة الله على يوحنا بن زكريا فى البرية فجاء كل البلاد المحيطة بالأردن يكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا . ولكن لماذا لم يحل فى بقية الأماكن بل فى البلاد المحيطة بالأردن لا غير ، ! ذلك لما هو مزمع أن يكون وهى معمودية الرب الذى أتى من أجلها إلى نهر الأردن. فذكر فى بشراه أنه بشر بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا ، ليبطل رشاش الزوفا ورماد العجلة التى يستعملها بنو إسرائيل . تلك التى لم يذكر عنها أنها لمغفرة

الخطايا بل للتطهير من لمس عظم ميتة أو إنسان أبرص . هؤلاء الذين ليس لهم خطية .

وكذلك يقول يوحنا واليهود من أجل التطهير ، لأنه سيبطل ذلك إذ لم يكن هو الغاية بل هو رمز فقط لما هو مزمع أن يكون . فكان يوحنا واسطة بين العتيقة والحديثة كما يقول الرب : إن الناموس والأنبياء إلى يوحنا . وهو كإيليا المزمع أن يأتى كما تنبأ ملاخى وهو أفضل من نبى كما شهد عنه الرب ، وهو رسول كما شهد عن نفسه لليهود قائلا : لست أنا المسيح بل أنا رسول أمامه . وهو ملاك على الأرض كما تنبأ عنه إشعياء قائلا: هوذا أنا مرسل أمام وجهك ملاكى ليسهل طريقك قدامك

فأقبل ينادى ويسهل السبيل المستقيم . لمغفرة الخطايا ، هذه المغفرة التى صارت لنا باستعلان الرب .

ولهذا القول أيضاً تفسير آخر كنائسى أعنى الصوت الصارخ فى البرية هو بشرى الرسل الأطهار فى أقطار الأرض للأمم لأن هذه الأمم كانت برية وقفراً خلواً من سماع بر الإيمان . قال : سهلوا طريق الرب أعنى إذا آمنوا سهلوا الطريق ليحل الرب فيهم بالروح كما هو مكتوب إنى أحل فيهم وأسير بينهم يقول الرب .

قال واصنعوا سبله مستقيمة أعنى إذا حل فيهم. فإن الروح يرشدهم لكى يصنعوا سبل الرب مستقيمة بلا إعوجاج .

قال جميع الأودية تمتلىء وكل الآكام تتضع . أعنى بالأودية الأمم الذين كانوا خلوا من معرفة الله وقد انحطوا إلى أسفل ونزلوا إلى هاوية الهلاك بغواية الشيطان وعبادة الأوثان وغيرها من الأعمال القبيحة . فامتلأوا معرفة روحانية بالإيمان حتى صاروا معلمين ومفسرين لأقوال الأنبياء والرسل ! !

وعنى بالآكام التى انحطت رؤساء اليهود وقوات الشياطين كما يقول الرسول : إنا نهدم كل علم يتعالى على معرفة الله .

أما اليهود الذين بقوا غير مؤمنين فقد نزع منهم الملك والرياسة ، وأبطل منهم الكهنوت لأن كهنوتهم لا يكمل إلا فى هيكل سليمان ، وأبطل عنهم حمىء الأنبياء لأن غايتهم إلى تجسد المسيح. ثم فرق الشعب اليهودى فى آفاق الأرض تحت يد الملوك الغرباء يسودونهم إلى الأبد من غير تعاهد . وأما الشياطين فأخزاهم بظهور أقنومه علانية كما يقول الرسول وأخضع كل شىء مضاد له تحت قدميه .

قال : ويصير الوعر سهلا والطريق الخشنة لينة أعنى الوعر سبل الأمم وخشونة طباعهم فسارت لينة سهلة بالبشرى الانجيلية . وهكذا القلوب القاسية الوحشة الخشنة لانت بقول التأديب والتعليم ، وانقادت إلى الإذعان .

قال : ويعاين كل بشر خلاص الله : أعنى الذين يسلكون فى هذا السبيل المستقيم من أى جنس كانوا ، يعاينون خلاص الله ، لأن النبى يقول كل بشر فلم يختص بهذا القول يهودى أو أممى بل جعل الكافة فى الإيمان شيئاً واحداً .

مرقس خاصة جعل بدء انجيل معمودية الرب من يوحنا قائلا : بدء انجيل يسوع المسيح ابن الله لأن معنى كلمة إنجيل البشرى، أعنى أن بدء بشارة ربنا يسوع المسيح ابن الله استعلانه للبشر منذ المعمودية ، كما ذكر بطرس الرسول مثل ذلك فى سفر الأعمال قائلا إنه ابتداء منذ الصبغة من يوحنا لأن الرب مكث ثلاثين سنة على الارض لم يظهر ذاته علانية ولم يعرفه الشعب إلى حين المعمودية ، ثم ابتدأ من بعد الصبغة يعلم ويتخذ التلاميذ، ولهذا جعلها مرقس الانجيلى أول البشرى وترك ما ذكره متى ولوقا فى أمر الميلاد وغيره وقصد ظهور الرب وجعل ذلك فاتحة إنجيله ، لأن فيه ظهر سر الثالوث باستعلان وصار بدء الإيمان بالمعمودية المقدسة لأن الرب صار لنا مثالا وطريقاً مفضية إلى الحياة الأبدية ، وبهذا أعطى أمثلة وتعاليم لمعلمى البيعة كما ذكر ذلك الرسل السادة واضعو أساس البيعة فى كتاب الدسقولية قائلين : لا يقدم إلى القسيسية من هو دون الثلاثين سنة ، ولو كان عالماً عفيفاً ورعاً مشهوداً له بالبر

لأن ربنا يسوع المسيح اعتمد وبدأ أن يعلم وأعطانا بهذا مثالا . وإنما حفظ الرسل هذا المثال لثلاثة فنون فاضلة الأول حفظ الثالوثية ثلاثة عشرات كاملة ، والثانى لأن عند كالها يكمل المرء الهيبة والقامة والعقل ، والثالث لأن الشهوة الطبيعية تثور فى المرء فيما يناهز ثمانى عشرة سنة ويمتحن إلى كمال ثلاثين سنة ، وهى قوة حرارة الشبوبية . فإذا وجد فى هذه المدة ورعاً عفيفاً عابداً الله متجنباً للمعايب كان مستحقاً لرتبة الكهنوت وأهلا لها . لأن التربية الأولى صارت حافظة له مع معونة الرب .

ثم بدأ يوحنا ينذر الشعب ويعلمهم تعليما فاضلا قوياً من غير رياء ولا خوف مبكتاً الزنادقة ومن يشبههم قائلا يا أولاد الأفاعى من دلكم على الهرب من الغضب الآتى ، أعنى دينونة الله للجميع . قال اعملوا أثماراً تليق بالتوبة ولا تقولوا إن أبانا ابراهيم لأن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم . أعنى بالحجارة الأمم الذين كانوا يعبدون الأوثان التى من حجارة وغيرها كما قال داود : صانعوها يكونون مثلها وكل من يتوكل عليها ، وأما الذين صاروا بنين لابراهيم هم الذين سلكوا فى بر الايمان بربنا يسوع المسيح كما قال الرسول بولس .

ثم بدأ يوحنا يعلم العشارين والجند مع كافة الشعب علانية من غير خوف ولا رعب حتى أن جميعهم ظنوا أنه المسيح لما رأوا من تعليمه الذى كان بسلطان ، وإنذاره بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا وتركه رشاش الزوف ، ولكن يوحنا أجابهم قائلا : لست أنا المسيح ، بل يأتى بعدى ذاك الذى هو كائن قبلى باللاهوت فأظهر بهذا اللفظ لاهوته وناسوته معاً .

قال الذى لست أنا مستحقاً أن أحل سيور حذائه أعنى بالحذاء الناموس الذى وضعه الرب وسلك فيه أولا وأمرنا أن نتبع أثره كما شهد الرسول قائلا : وحاذين أرجلكم باستعداد إنجيل السلام (أف ٦ : ١٥) .

قال هو يعمدكم بالروح القدس ونار . أعنى أن كل الأشياء دونه وهو الكمال ،

ولهذا فإنه هو الذى يعمد الكافة لأنه الفاعل فى الكل ، وليس مثل يوحنا بالماء للتوبة بل بفعل الروح القدس الذى له الاستطاعة أن يقدس ويطهر ، وبنار عبادته التى هى من حرارة الإيمان ، ولها قوة غفران الخطايا وكل الهفوات التى تكون بعد المعمودية كما قال الرب إنى أتيت لألقى ناراً على الأرض وما أريد إلا اضطرامها. هذه النار التى بحق صارت فى القديسين حتى أكملوا سعيهم بقوة وجهاد صالح .

قال الذى بيده الرفش ينقى به بيدره ويجمع القمح إلى أهرائه ويحرق التبن بنار لا تطفأ . حقق هنا لكل الشعب أن المسيح الذى ظهر بالجسد إله على الكل بقوله إنه يعمدكم بالروح القـــدس . ومعلوم أن الرب لم يعمد أحداً بيده كما شهد يوحنا الانجيلى بل هو الفاعل والمقدس للكل بقوة لاهوته الحال فى كل مكان . ثم زاد ذلك ظهوراً بقوله إنه الذى ينقى أصفياءه ويكملهم ويحفظهم فى أهرائه التى هى ملكوته الأبدية وأما القوم الذين هم مثل التبن والقش ، وقد مالوا مع كل الأهوية الردية ، فإنه يلقيهم فى نار جهنم التى لا تنطفىء ليعلمهم أنه يبرر ويشجب ويرفع إلى الملكوت ويلقى فى الجحيم .

فقد أكمل يوحنا الانذار جيداً مجتهداً غير متهاون وعلم وبكت وقوم نفوساً مستقيمة للرب ، كما تنبأ زكريا أبوه عليه قائلا : وأنت أيها الصبى نبى العلى تدعى لأنك تتقدم أمام وجه الرب لتعد طريقه لتعطى معرفة الخلاص لشعبه لمغفرة الخطايا .

وجبرائيل الملاك يشهد عنه قائلا : إنه يرد كثيرين من بنى إسرائيل إلى الرب إلههم وهو يتقدم أمامه بروح إيليا وقوته ليرد قلوب الآباء إلى الأبناء والعصاة إلى فكر الأبرار لكى يهيىء للرب شعباً مستقيما .

فلما أكمل هـــذا بأسره قال الكتاب العزيز حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الاردن ليعتمد من يوحنا .

عماد السيد المسيح من يوحنا

يا لهذا الاتضاع الذى لا يقاس ولا يستطيع لسان بشرى ترجمته: كيف أن الرب الذى يأتى اليه كل البشر كما هو مكتوب ، يأتى إلى الاردن ولم يأنف من ذلك ؟ ! وقدوس القدوسين جاء ليعتمد من الذى قدسه هو وباركه واصطفاه وأعطاه موهبة روح قدسه ، وأرسله بشيراً أمامه ، وما كان محتاجاً إلى ذلك بل من أجلنا نحن المحتاجين !! ولا لأجل قبول الروح القدس أيضاً لأنه كائن معه أزلياً فى الجوهر الواحد اللاهوتى ! ! بل لكى يعطينا نحن موهبة الروح القدس بالمعمودية على الإيمان باسمه القدوس . هذا الذى طهر المياه بحلوله فيها وقدسها ، وطهرنا نحن أيضا بهبوط الروح القدس نازلا عليها .

وماذا قال الكتاب الإلهى ؟ !

قال إن يوحنا امتنع عن ذلك واستعفى قائلا « أنا المحتاج أن أعتمد منك » . أعنى ليس أنت محتاجا إلى شىء من هذا ، بالجملة لأنك البار وحدك بل أنا وأمثالى

من كافة البشر الذين هم تحت الإشجاب محتاجون إلى الاعتماد منك يا معطى مواهبه لكافة من يدنو اليه، وفاعل فى كل التقديسات ، ومنك خاصة يتقدسون ويتباركون يا قدوس القديسين ، نحن محتاجون أن نتقدس منك وليس من أحد سواك يا من بغيره لا يقدر أحد على شىء من الفضل ، أيها البار وحده الذى بلا عيب ، نحن محتاجون أن نتبرر منك لكيما نخلص من الاشجاب الذى صار الينا من آدم الأول . نحن محتاجون اليك أن تمزق كتاب خطايانا ، نحن محتاجون اليك أن تحيينا بعد الموت عندما ترسل صوتك فيسمع الأموات ويقوم الصالحون والطالحون معاً ، نحن محتاجون اليك أن تصنع معنا رحمة فى حكمك المرهوب ، نحن محتاجون اليك أن تنقذنا من العذاب الدائم وتحيينا فى الملكوت الأبدى ، لست أنت محتاجا إلى عبادتنا بل نحن محتاجون إلى ربوبيتك وتحننك .

إن يوحنا أذهله تواضع الرب واستعفى قائلا : « كيف تأتى إلىّ وأنا المحتاج أن أعتمد منك ! ! فأجابه قائلا : اسمح الآن ، لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر » :

دع الآن هذه الممانعة والاستعفاء ، لأنك لم تعرف قوة تدبيرى، كما قال لبطرس لما امتنع أن يغسل له قدميه. إن الذى أصنعه أنا لست تعرفه الآن لكنك ستعرفه فيما بعد ، وحيث لم يجد بطرس موضعاً للاستعفاء تركه لكى يغسل له قدميه . وهكذا جرى الحال فى أمر يوحنا أيضا بقوله دع الآن أى دع هذه اللجاجة واصنع ما آمرك به لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر، ومعنى كل البر أن الخالق افتقد خليقته بذاته وتعهدها بنفسه لكى يبررنا من الشجب . والصانع لم يرفض ما صنعت يداه لأن الصنعة إذا فسدت لا يقدر أن يصلحها إلا صانعها ، ولم يتعهدها فقط بل وصار لنا مثالا وطريقا مفضية إلى الحياة الأبدية ، كما قال أنا هو الطريق والحق والحياة . وبه صار لنا النجاة وغفران الذنوب . وبه تقدمنا لأنه يعلو كل قدس ، أما يوحنا إذ لم يقدر على الاستعفاء ولا وجد مفراً ولا بداً أذعن لأمر سيده .

وأن الرب لما اعتمد صعد للوقت من الماء لكيما يرينا سرعة اعتمامه بنا ، وانفتحت له السموات لأنه مالك لكل شيء . وظهر روح الله نازلا شبه حمامة آتياً إليه ليعلم أن الروح كامل ذو أقنوم وأنه استعلن لأجل استعلان الإبن ليكون فاعلا فى كل التقديسات ، وحيث أنه غير متجسد تمثل بشبه حمامة دون غيرها من الطيور لأجل دعتها . وإذا بصوت من السماء قائلا « هذا هو إبنى الحبيب الذى به سررت » وبهذا سمى هذا العيد عيد الظهور كما تقدم القول . لأن فيه ظهر سر الثالوث القدوس الإبن فى الأردن والآب يشهد له والروح القدس نازل عليه . ولماذا لم يحل على الرب وهو فى نهر الأردن ؟ ؟ ذلك لئلا يظن أنه حل على يوحنا المعمدان ، لأن اسمه كان ذائعا . ولهذا لما صعد الرب من الماء واعتزل من يوحنا حل عليه خصيصا ، وإن كان الروح معه لم يزل فى وحدانية اللاهوت جوهراً واحداً ، بل صنع هذا لكيما كل من اعتمد بهذا المثال على اسم الثالوث القدوس الواحد فى اللاهوت يقبل موهبة الروح القدس لأن الرب صار لنا مثالا فى كل شيء .

يوحنا الإنجيلى جعل فاتحة انجيله عن الميلاد الأزلى الذى ليس له إبتداء قائلا : فى البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، والله هو الكلمة وهكذا . فلما تقدم لم يترك تدبير التجسد والمعمودية المقدسة لأجل فضلها بل أكد ذلك جيداً بحلول الروح على الأردن وقول يوحنا المعمدان إنى عاينت وشهدت أن هذا هو ابن الله . ولم يقتصر بهذا بل زاد إظهاراً وتأكيداً بأن الرب إنما صنع ذلك لأجلنا خاصة . يقول الرب لنيقوديموس إنه ينبغى لكم أن تولدوا من فوق لأن المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح روح هو ، وقال من لا يولد من الماء والروح لا يعاين ملكوت الله . هذا الذى به جددنا وجعلنا أبناء للآب فى الحياة الأبدية كما يقول الرسول إنه أحيانا بغسل الميلاد الثانى وبتجديد موهبة الروح القدس أعنى أن الروح الذى نزعه من آدم عند المخالفة ، جدده فينا بالمعمودية مجانا بنعمته . قال : الذى أفاضه علينا من غناه وفضله يسوع المسيح محيينا لنتبرر بنعمته ونكون وارثين لرجاء الحياة الدائمة .

فلذلك يا أحبائى كرامة هذا العيد جليلة جداً . ويجب علينا أن نوقره لأن فيه استعلن لنا سر الثالوث . اليوم أعطانا الابن سلطانا أن نولد من فوق ونصير بنين لله الآب بالروح . « والروح نفسه أيضا يشهد لأرواحنا أننا أولاد الله » (رو ٨ : ١٦) .

اليوم سحق الرب رأس التنين على المياه كنبوة داود . اليوم أعتقنا الابن من العبودية المرة ، وصيرنا أحراراً عندما جعل فينا موهبة روح قدسه ذاك الذى نزعه من أبينا آدم عند أكله من عود المعصية . اليوم كمل المكتوب فى يوئيل النبى أنى أفيض من روحى على كل بشر يقول الرب . فلنصنعه الآن عيداً نقياً طاهراً كما يليق به لأن فيه طهرنا الرب بحلول روح قدسه وولدنا ميلاداً جديداً . وليس من زرع يبلى كما كان أولا بل مما لا يبلى لميراث ملكوت أبدى لا زوال له . وها الصوت الصارخ نسمعه اليوم قائلا : أعدوا طريق الرب واصنعوا سبله مستقيمة . وإن كان هذا قد صار إلى يوحنا وصرخ به فى المسامع جسدانياً فقد أكمله آباؤنا الرسل الأطهار كنائسياً فى إنذار البشرى وبنيان الكنيسة كما تقدم القول ، فإنه باق إلى اليوم قائم ثابت صائر إلينا روحانياً يصرخ فى مسامع نفوسنا التى صارت كمثل برية خالية من عمل البر ، لترك الاهتمام بها ، فأمرنا أن نسهل طريق الرب ليحل فينا بالروح عندما نحفظ وصاياه كما قال : إن أحبنى أحد يحفظ كلامى ويحبه أبى وإليه نأتى وعنده نصنع منزلا (يو ١٤ : ٢٣) .

فما الذى يكون أشرف من هذا أن الانسان الحقير الترابى يصير مسكناً للرب الإله العظيم السمائى يعمل وصيته ، وحينئذ تمتلىء الأودية التى فى تلك النفس ، وهى ضعف القلب وقلة الأمانة وعدم الرجاء ، تمتلىء إيمانا وقوة ورجاء صالحا فى الله . ثم الآكام التى فيها تتضع أعنى الكبرياء والافتخار والعصيان لناموس الله وتصير متضعة من أجل الرب الذى اتضع من أجلنا . خاضعة لناموسه بمحبة واجتهاد حافظة وصاياه بلذة ، حتى أن النفس التى كانت وعرة فى مسلكها تصير سهلة فى انقيادها وكانت أولا

وحشية خشنة فى طباعها تصير لينة سهلة فى تصرفها . وها قد رسم فيها وطبع ناموس الروح ليس فى ألواح حجرية بل فى قلوب لينة لحمية كما يقول الرسول. وهكذا يعاين كل بشر هذا فعله خلاص الله . ويجب علينا أن نذكر العهد الذى عاهدنا به الرب وقت المعمودية كالأوامر الرسولية بأن نجحد الشيطان وكل أعماله. ونتبع ناموس الرب وكل أفعاله. وإن كنا قد زللنا وعملنا خلاف ذلك، فلنتجدد بنار التوبة التى من تلقاء الروح. وننهض من السقطة ونرجع عن توعر التهلكة . إذ أن الرب يدعونا على فم إشعياء النبى قائلا : إرجعوا إلى فأرجع إليكم يقول الرب . ولو كانت خطاياكم قد صارت كالدم جعلتها كالثلج ، ولو كانت كصبيغ القرمز تصير كالصوف الأبيض النقى . فإن تهاونا فى ذلك يكمل علينا قول الرسول : أن ليس عهد ولا وفاء لهم . وهذه الكلمة قيلت المؤمنين خاصة . وقال : أولئك الذين يعرفون حكم الله أنه مستوجب الموت على الذين يعملون هذه القبائح وهم لا يقتصرون على العمل بها فقط بل ويلتمسون مشاركة من يعملها أيضاً (رو ١ : ٣١) . فالآن نرجع إلى الرب بتوبة نقية لكى نطهر من هذه القبائح ونغتسل من وسخ دنسها لأن الرب يعلمنا على فم إشعياء النبى قائلا: اغتسلوا وتطهروا وانزعوا الشر والخبث من قلوبكم أمام عينى يقول الرب ، ثم أن النبى يثلب قوماً يداومون على خطاياهم وجهلهم قائلا: « ويل للذين يبكرون صباحا يتبعون المسكر ، للمتأخرين إلى المساء تلهبهم الخمر » (اش ٥ : ١١) . أعنى الذين يتهاونون بنفوسهم فى دنس الآثام من صباهم إلى كمال حياتهم فيدركهم المساء الذى هو الموت الذى لم يبق فيه عمل ولا تقبل فيه توبة . فالنسع الآن فى عمل البر حسب قوتنا ما دام لنا زمان ومهلة قبل أن تدركنا الوفاة ، لكى نجد منه معونة ونظفر عنده برحمته والرب يحفظنا أجمعين من مكائد العدو ومناصبه ، ويؤهلنا لسماع ذلك الصوت الفرح القائل : تعالوا يا مباركى أبى رثوا الملك المعد لكم منذ إنشاء العالم بشفاعة سيدتنا البتول القديسة مريم والدة الخلاص وشفاعة القديس البار مار يوحنا المعمدان وشفاعات آبائنا الرسل والشهداء والقديسين آمين .

✝

بسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد له المجد . آمين

ميمر الشعانين

للأب المكرم القس بولس البوشى

صلاته وبركانه تشملنا إلى النفس الأخير آمين

عظيمة هى تدابيرك أيها الرب الإله المجد فى قديسيه . لا يقدر لسان بشرى أن يصف كنه أعمالك أو يترجم حسن أفهامك الباهرة . إلا أنى أرسل مجداً ووقاراً وإكراماً وسجوداً لاسمك المرهوب ، أيها المسيح ذو المجد والجلال ، وأسألك أن تفتح فمى لأنطق بهاء عزتك .

أعطنى فهماً أيها المسيح الذى أعطى التسبيح للأطفال لكى أسبح معهم عظم بهائك ، هب لى قولا يا عمانوئيل إلهنا لكى أصرخ مع الذين خرجوا بسعف النخل للقائك وأقول : مبارك الآتى باسم الرب وهو عتيد أن يأتى . لك المجد فى الأعالى من فوق وعلى الأرض من أسفل : أنا أرتل اليوم مع داود النبى وأصرخ وأقول : تعترف للرب أعماله وعجائبه فى بنى البشر .

أستعلنت أيها المسيح الرب من بعد العماد فى نهر الأردن لخليقتك . وأظهرت أعمالك لبريتك عندما ظهرت متجسداً كمشيئتك ، وأظهرت أعمالا لائقة بلاهوتك ، ليعلم كل أحد أنك إله متجسد لأنك بأعمالك التى كانت بقوة وسلطان دعوت أميين ليكونوا مبشرين ، وعن كل حكمة وفهم وهبت لهم ! !

الماء فى عرس قانا الجليل ببركتك خمراً جعلت . والبرص عندما سألوك الشفاء بمشيئتك طهرت . باسمك البحر أمام تلاميذك هدأت . وفى دفعة واحدة لسفينتين سمكا ملأت . ولابن قائد المائة بكلمة من فمك عافيت . ولحماة بطرس من

الحمى أنهضت. ولنازفة الدم عندما لمست طرف ثوبك أبرأت، ولابنة رئيس الجماعة أحييت . وللعازر بعد أربعة أيام فى القبر دعوت . ولابنة الأرملة فى نايين أقمت ! !

للشياطين من القوم المعترين بانتهار طردت ، ومخلعين حملوا أسرتهم بأمرك ولخطاياهم غفرت . ولأصناف الأمراض بقوة لاهوتك أبرأت، وللخطاة والعشارين بمراحمك تحننت وقبلت . ولأعين المولودين عمياً أضأت ، ولآذان الصم فتحت ، ولأيدى العسم مددت ، وعلى الذين هم كمثل خراف لا راعى لهم تحننت . وبأمثال كثيرة لأجل خلاصنا تكلمت ، ومن خبز يسير الألوف من الناس أشبعت . وعلى المياه السائلة فى طبعها مشيت ، وتحت أقدام بطرس تلميذك ثبت . وللرياح العاصفة بانتهارك سكنت ! !

ومجد لاهوتك على طور طابور أمام رسلك أظهرت ، ودراهم من فم سمكة فى لجج البحر أخرجت . وللخاطئة التى دهنت قدميك بالطيب سامحت ، ولشجرة التين التى لم تثمر للوقت أيبست . وللضالين أرشدت وهديت ، وعلى الشعب العاصى صبرت وتأنيت، وللذين أطاعوا أمرك رفعت ومجدت، وبالحياة المستأنفة والملكوت العتيد أعلنت ، وعن العذاب الدائم والجحيم المعد للخطاة أخبرت ، ولأجل مجيئك واستعلانك الثانى وحكمك المرهوب نطقت وأنذرت ، وفى كل شىء يؤول إلى نفعنا أوصيت وكرزت . وعن أنواع الخطايا نهيت وحذرت ! !

ولما أكمل الرب الإله له المجد هذا بأسره ، شاء أن يتم بقية ما تنبأ به الأنبياء ليكمل الغاية فى الخلاص بموته المحيى ، كما سبق وأخبر رسله الأطهار . هذا الذى به يمزق كتاب خطايانا . وبصوته تنشق الصخور ، وتنفتح القبور ، وينهض الاموات ، وتضطرب العناصر ، ويمضى إلى النفوس المحبوسة ، ويحطم متاريس الحديد ، ويكسر أبواب النحاس ، ويقول للذين فى الحبوس اخرجوا ، والذين فى الظلام أنظروا ، كما تنبأ بذلك أشعياء النبى ، ثم يسبى من فى الجحيم ويفتح الفردوس ، ويبطل مخاض الموت بقيامته المقدسة ، ويثبت لنا رجاء القيامة

ويصعد جسد بشريتنا الذى كان أسفل فى التراب إلى أعلى السموات فوق كل الرؤساء والقوات .

ثم يرسل موهبة روح قدسه على رسله الأطهار ليبشروا به أقطار الأرض . فلم يكن اكتمال هذا جميعه إلا بآلامه المحيية ! !

حينئذ صعد إلى أورشليم قائلا : إن ابن الانسان لابد أن يسلّم إلى أيدى الأمم ويقتلونه ويقوم فى اليوم الثالث . وكان يقول هذا علانية وكان صعوده إلى أورشليم فى يوم الأحد التاسع من الشهر الهلالى الذى فى الرابع عشر منه يذبح الخروف الذى عمله الرب يوم الخميس فى تلك السنة . وذلك أنه مكتوب فى الناموس إن الرب كلم موسى فى مصر قائلا « هكذا كلم جماعة بنى إسرائيل أن يشترى كل منهم خروفاً على قدر عدد بيته ويكون حولياً لا عيب فيه ويحفظ عندهم من العاشر فى الهلال إلى الرابع عشر منه ليذبح عند المساء » . فلهذا صعد الرب إلى أورشليم ليكون هناك فى العاشر من الهلال وهو اليوم الذى يحفظ فيه الخروف عندهم كما أمر فى الناموس لأنه هو الحمل الحقيقى الذى لا عيب فيه كما تنبأ إشعياء ! ! وهو حمل الله الذى يحمل خطايا العالم كما شهد يوحنا . وهو بلا عيب وحده كامل وفى كل زمان موجود . لأن الخروف الحولى لم يكن فى وقت من أدوار السنة إلا وهو موجود فيه ، فهو موجود فى الشتاء والربيع والصيف والخريف . ويرمز بهذا المثال أن الرب لم يكن هناك وقت قبله ، بل هو كائن فى كل الدهور ومكث محفوظاً بإرادته فى أورشليم الموضع الذى فيه يكمل التدبير ، من يوم الاثنين العاشر من الهلال إلى يوم الجمعة الرابع عشر منه . وهو اليوم الذى فيه يذبح الفصح .

صنع الرب أولا المثال ، ثم أعطى رسله للوقت الحاضر الكمال . الذى هو جسده المقدس ودمه الكريم قائلا : هذا هو عهد جديد اصنعوه لذكرى . إلى أن أجىء (١ كو ١١ : ٢٥ ، ٢٦) . أعنى أن القديم قد زال لأنه كان مثالا فقط للعهد الجديد الذى به تكون الغاية .

وكان صعوده إلى أورشليم متواضعاً كما يليق بجميع تصرفه ! ! راكباً على حمار كما هو مكتوب : لا تخافى يا ابنة صهيون ، هوذا ملكك يأتيك متواضعاً راكباً على جحش ابن أتان . وفى هذا معنى آخر ، وذلك أن الناموس يقول عن الحيوان الطاهر والحيوان النجس هكذا: إن كل دابة لا تجتر وظلفها ملظوم (غير مشقوق) فهى نجسة . فأما الجمل فإنه يجتر ، ولكن ظلفه ملظوم فهو نجس . وهذا مثال على اليهود لأنهم يعترفون بالناموس العتيق ، وهو يشهد للعهد الجديد ولم يقبلوه . لأجل ذلك هم أنجاس . وكما أن خف الجمل نجد فيه من أعلاه علامة أنه مفروق . ومن أسفل مدور ملظوم غير مفروق . فلهذا قال الناموس إنه نجس . وكذلك اليهود نجد عندهم العهد العتيق . وفيه علامة شهادة الأنبياء ترمز للعهد الجديد . ومع هذا فلم يقبلوه فهم أنجاس حيث لم يقبلوا الشريعتين . لأن الأولى لم تكن بها الغاية ، بل الثانية بها التمام والكمال .

أما الخنزير فقال الناموس عنه إنه مفروق الظلف . لكنه لا يجتر فهو نجس . وهذا المثال على الذى يقبل العتيقة والجديدة . ولكنه لم يعمل بها وهو سالك ضد الوصية . وهو يقبل الشريعة بالقول ويبطلها بالفعل . ويعقوب الرسول يقول إن الأمانة بغير عمل ميتة . فلهذا يكون مشجوباً ما دام فى العصيان لكن إذا تاب وعمل بالوصية غفر له . لأن البذرة المباركة فى غنى الإيمان موجودة فيه كما قال أشعياء النبى ، لكن هنا نرى الإيمان ناقصاً من الجهتين معاً لأنه لم يجتر ، وهو ملظوم الظلف . وهذا المثال على الأمم عبدة الأوثان . لأنهم لم يعرفوا العتيقة ولا الجديدة . ولم يفهموا شيئاً من الوصايا لكى يعملوا بها . وهؤلاء الأمم سُرّ الرب أن يدعى اسمه عليهم بالإيمان ويبررهم مجاناً ! !

وكما أرسل الرب تلاميذه فحلوا الأتان والجحش ابن الأتان وهما مربوطان خارجا عن الطريق ، ولكونهما حيوانيين لم يقصدا من ذاتهما شيئا من ذلك ، كذلك أرسل تلاميذه فبشروا الأمم وحلوهم من وثق الشيطان ، من حيث لم

يفهموا . ذلك لأن عقولهم كانت بهيمية ، وكانوا خارجين عن طريق البر . لكن الله علم أنهم يقبلون الحق ويذعنون للايمان إذا عرفوا به . وكما شهدت النبوة بركوب ربنا للأتان ، كذلك حققت نبوات الأنبياء بدخول الأمم إلى الإيمان . كما هو مكتوب فى هوشع النبى سأدعو الذى ليس شعبى شعبى والتى ليست محبوبة محبوبة ، ويكون فى الموضع الذى قيل لهم فيه لستم شعبى ، أنه هناك يدعون أبناء الله الحى (رومية ٩ : ٢٥) . وداود يقول « سبحوا الرب ياجميع الأمم ومجدوه ياجميع الشعوب » . وإشعياء يقول إنه سوف يكون ليسّى أصل ثابت والذى يقوم منه يكون رئيساً على الشعوب ، وإياه ترجو الأمم . وكثير مثل هذا قد تنبأ به الأنبياء .

قال الانجيلى « والجمع الذى تقدمه والذى يتبعه يصرخون ويقولون أوصنا مبارك الآتى باسم الرب مباركة مملكة أبينا داود الآتية باسم الرب . أوصنا فى الاعالى » (مر ١١ : ٩) وتفسير أوصنا فى اللسان العبرانى أى خلصنا .

قال : وقوم فرشوا ثيابهم فى الطريق وهذا المقال على الشهداء الأبرار الذين بذلوا أجسادهم صبراً على الاعتراف باسمه القدوس ! ! قال وقوم قطعوا أغصاناً من الشجر وفرشوا ثيابهم فى الطريق . وهذا المثال صنعه القديسون ، والقوم الصالحون المؤمنون الذين زينوا الطريق أمام الرب بأعمال الفضيلة ! ! قال : ولما دخل أورشليم ارتجت المدينة كلها . أعنى لما عاينوا من القوات التى صنع ولأجل كثرة التمجيد الذى كان بأصوات عظيمة .

ثم دخل إلى الهيكل فبدأ يخرج باعة البقر والغنم والحمام والصيارفة لكى يعلمنا أن بيعة الله لا يكون فيها شىء من التشاغل العالمى الذى يضاد حسن العبادة بل يجب أن تكون مثل السماء للتسبيح والتقديس والصلوات ، كما علمهم قائلا « مكتوب إن بيتى بيت الصلاة يدعى » .

وقدموا إليه فى الهيكل للوقت عميانا وعرجا فشفاهم ليثبت كلمة التعليم بقوة

الآيات والعجائب . ثم أعطى فهماً للأطفال لكى يسبحوه ، ليبكت بهم مشايخ الشعب الذين عميت قلوبهم عن معرفة الحق ، كما أنتخب أميين وبكت بهم الحكماء ، وضعفاء وقهر بهم الأقوياء . أما الفريسيون المحبون للمجد ، ورؤساء الكهنة الذين يعظمون أنفسهم ، فقد حسدوه لأجل كثرة التسابيح والقوات مع توافد الشعب إليه فقالوا له بحنق : أما تسمع ما يقوله هؤلاء ؟!! فذكرهم بالمكتوب لكى يجذب عقولهم برفق كمثل صالح ومتحنن قائلا : أما قرأتم أن من فم الأطفال والرضعان أعددت سبحاً ! ! ولكنهم لشدة عتوهم وغلظ قلوبهم تمادوا فى شرهم قائلين فيما بينهم أما تنظرون أنكم لم تعرفوا شيئاً . هوذا العالم قد تبعه ، ولم يحسدوه على احتفال الشعب به فقط ، بل ومن أجل تلاميذه خاصته أيضاً عندما مجدوه . فقالوا له بمكر وحسد يامعلم انتهر تلاميذك ليسكتوا . فأعلن لهم ما هو مزمع أن يكون قائلا : الحق أقول لكم إن سكت هؤلاء فالحجارة تنطق ! !

وقصد بالحجارة الأمم الذين كانت قلوبهم حجرية بعبادة الأوثان ، كما تقدم القول فصاروا خلفاء للتلاميذ بالإيمان . وصاروا من بعدهم ناطقين بالإيمان . ومعلمين للبيعة . مفسرين لقول الرسل والأنبياء فبنوا على أساسهم حجارة مقدسة كريمة ! ! فكان منهم شهداء قديسون ، وأبرار صالحون لا يحصون . هؤلاء بحق الذين زينوا الطريق المستقيم أمام الرب بكل نوع صالح وبهاء وحسن وصار تذكارهم دائماً إلى الأبد . فيجب علينا أن نمجد سيرتهم ، ونغار من فعلهم فى عمل الخير ، كما يقول الرسول تغايروا فى المواهب الفاضلة . ونقتفى آثارهم ونقتدى سبلهم . وإن كنا لا نقدر على خلع الثوب الذى هو بذل الجسد حتى الموت على اسم الرب ، فلا نتخلى ونكون بطالين بل نلقى أغصاناً من الشجر أمامه فى الطريق الذى أرانا بنفسه ، الذى هو عمل الفضيلة حسب قوتنا ما دام لنا زمان ومهلة ، ونصرخ أمامه ليس بكلام متفلسف ، بل بأصوات الأطفال الذى هو باتضاع قلب عديم الشر والمكر . كما يعلمنا الرسول قائلا : لا تكونوا أطفالا فى آرائكم بل كونوا أطفالا

فى الشر . ونتبع آثار الرسول ونصرخ ونقول مبارك الذى أتى وهو عتيد أن يأتى باسم الرب مبارك فى العلا وعلى الأرض السيد الملك الأبدى . ولنصنع رحمة مع إخوتنا كى يتحنن الرب علينا ولنرجع عن ظلمنا واغتصابنا لكى نسمع الصوت مع زكا القائل اليوم وجب الخلاص لأهل هذا البيت . لنخرج من المحلة للقائه الذى هو الخروج من الأمور العالمية ولا نخرج بطالين بل نخرج بهيين مجتهدين وبأيدينا سعف النخل الذى هو عمل الفضيلة التى تنمو دائماً إلى فوق لكى يقبلنا إليه . ونتنعم بمجده كما هو مكتوب فى الأنبياء اخرجوا من بينهم وافترزوا منهم وأنا أقبلكم يقول الرب وأكون لكم أباً وتكونون لى بنين وبنات . لنحفظ أجسادنا طاهرة لأنها هياكل الله وأنفسنا نقية لأنها كصورته . لكى نتفق مع القوات العقلية فى التسبحة الروحانية . لنصنع صلحاً وسلاماً مع بعضنا لكى يعطينا الرب السلام الذى أعطاه لرسله الأطهار . لنصعد معه من أريحا إلى أورشليم ، الذى هو صعود العقل من عالم الآثام إلى الإرتقاء لأورشليم السمائية مدينة الأطهار ، حيث مجد الملك الأبدى المسيح الرب الكائن مع كافة قديسيه . لنطلب إليه بابتهال مع الأعمى الذى كان جالساً على الطريق الصائرة من أريحا إلى أورشليم التى هى طريق بدء العمر الحاضر ، نطلب أن يضىء أعين قلوبنا وأن يساعدنا على العمل برضاه ويكفينا تجارب العدو المُناصب ، ويغفر ما سلف من خطايانا ، ويحرس حياتنا ، ويسامحنا بهفواتنا ، ويرزقنا رحمة فى حكمه المرهوب ويجعلنا مستحقين سماع ذلك الصوت المملوء مجداً وفرحاً القائل : « تعالوا إلىّ يامباركى أبى رثوا الملك المعد لكم منذ إنشاء العالم » بشفاعة سيدتنا القديسة البتول مريم والدة الخلاص ، وكافة الرسل الأطهار ، والشهداء ، والقديسين الأبرار . آمين .

✝

بسم الآب والإبن والروح القدس الإله الواحد له المجد دائما آمين

ميمر الصلبوت

للأب المكرم القس بولس البوشى

صلاته وبركاته تشملنا إلى النفس الأخير . آمين

يا مَن بالصليب قهر الشيطان ، أيها المسيح خلصنا ـ نحن كافة شعبك المؤمنين باسمك ـ من تجارب العدو ، بقوة لاهوتك الذى يسود الكل .

يا من بالصليب مزق كتاب خطايانا . أيها الرب القدوس ، تجاوز عن سيئاتنا بتحننك الذى لا يوصف .

يا من بالصليب شقق الصخور وفتح القبور وأقام الأموات ، لين قلوبنا الحجرية وأفهم عقلنا الميت بالخطية لأنك معطى الحياة الأبدية .

يا من بالصليب أضأت مخادع الظلمة ، أضىء ظلمة قلوبنا بنور مجدك العجيب ، وهب لى أنا الحقير فهماً لأتكلم بسر تدبيرك .

يا من بالضعف غلب قوة الأقوياء ، أعط قوة لعقلى لأنطق بكيفية آلامك المحيية .

هب لى معرفة يا من وهب الخلاص بصليبه مجاناً للذين كانوا فى وثق المسكنة مذلولين منذ بدء العالم ، ولكافة المسكونة أيضاً إلى الأبد وانقضاء الدهر ، لكيما أخبر بمحبتك لجنسنا ، وكيف بذلت ذاتك عنا حتى أحييتنا من الموت الذى استوجبناه . أنت الذى تعلو كل الآلام . أنت الذى تعطى الحياة لكل ذى جسد . من أجلنا قبلت الموت . أنت الذى تفوق كل البرايا ، من أجلنا نحن البشر تنازلت للصلب .

عجيبة هى أعمالك يا رب وعميقة جداً هى تدابيرك ، وآثارك لا تعرف أيها السيد ، وسبلك لا تفحص أيها القدوس .

أنت بالصليب المقـــدس أظهرت الغلبة ، وبموتك المحيي دست الموت المهلك وأبطلت شوكته التى هى قوة الخطية ، وعتقتنا نحن المسجونين الموت ، أعنى أن الصليب المقدس غلب وقهر الذى لا يقهر بالسلاح ، أعنى الشيطان وجنوده .

جسد مقدس غريب من الخطية قتل الخطية وأبادها وعتقنا من أشجابها (١) .

---

(١) يقصد السيد المسيح الذى هو بلا خطية وحده .

الخروف الذى بلا عيب سيق للذبح ، كـكلمة إشعياء النبى ، وصـار ذبيحة كاملة وبرفعه أكمل الذين يتقدسون به إلى الأبد .

فصح التمام والـكمال الذى هو العهد الجديد ، خلصنا من عبودية فرعون المرة ، الذى هو الشيطان المارد إلى الأبد ، وذلك أن الله لمـا ضرب فرعون والمصريين بالضربات المؤلمة لم يطلق فرعون الشعب ، بل قسّى قلبه كقول الله لموسى عبده . فقال الله لموسى أخيراً بقيت هذه الضربة الواحدة وبعدها يخلى سبيلـكم وتخلصون من عبودية فرعون إلى الأبد ، فمر الشعب الآن أن يشترى كل واحد منهم خروفاً على قدر عدد أهل بيته ويكون خروفاً حولياً لا عيب فيه . ويحفظ عندهم من العـاشر فى الهلال إلى الرابع عشر منه ، ويذبح عند المساء ولا يؤكل مطبوخاً بل مشوياً على النار ، وينضحون من دمه على عتبتى الأبواب والعارضتين لبيوتهم ، وكاوه هكذا وأوساطـكم مشدودة وأحذيتـكم فى أرجلـكم وعصيكم فى أيديكم ، وكاوه بسرعة فإنه فصح للرب ، وما كان يؤكل منه فـكلوه ، وما لا يؤكل فأحرقوه بالنار . ولا يكسر له عظم فإنى فى هذه الليلة أطوف مصر وأهلك جميع أبكار المصريين ، ومن وجدت علامة الدم على باب بيته فهو يخلص من الملاك الذى يهلك الأبكار . فقدم تقدم التفسير فى الميمر الذى للشعانين بأن الحمل يرمز للمسيح وأنه كامل فى كل زمان ، وأنه دخل إلى أورشليم من العاشر فى الهلال ، ومكث إلى الرابع عشر منه الذى فيـــه يذبح الفصح . فعمل المثال أولا ثم أعطى رسله فصح الـكمال الذى هو جسده ودمه .

أما تفسير بقية الفصل فإنه لمـا ضرب الله فرعون والمصريين بالتسع ضربات المؤلمة ، ولم يطلق فرعون الشعب ، قال الله لموسى بقيت هذه الضربة الواحدة وفيها يخلى سبيلـكم ، كـذلك المسيح لما صار مع البشر على الأرض ليخلص شعبه ضرب الشيطان وجنوده ضربات مؤلمة لهم جداً مثل استعلانه على نهر الأردن وصوت الآب اليه والروح نازل عليه ، وكما أن فرعون عندما كان يتألم من الضربة ثم تزال عنه ، يعود فيقسى قلبه ، فلا يترك الشعب ، كذلك فى كل عمل يصنعه الرب

يليق بلاهوته حينئذ ، يقول الشيطان هذا هو المسيح مخلص العالم قد جاء... فيتألم جداً ويحزن كثيراً . . فيصنع الرب للوقت شيئاً يليق بالبشرية ، لأنه إله متجسد وله أن يصنع كليهما وهو فاعل واحد بلا انقسام .

وجاء صوت الآب يشهد أنه ابنه الحبيب وهبط عليه الروح قائلا حقاً هذا هو المسيح الرب الابن الوحيد فحزن الشيطان كثيراً، وللوقت صعد الرب إلى الجبل وصام أربعين يوما وأربعين ليلة ، ليعلمنا أن نسلك أثره . فتقدم إليه إبليس ليجربه وقال له إن كنت ابن الله فقل لهذه الحجارة أن تصير خبزاً ، وإنما قال هذا لأجل ذلك الصوت الذى شهد أنه ابن الله الحبيب . فلم يصنع له الرب كمراده بل انتهره وأبعده، وكذلك فعل كل آياته التى بسلطان مثل تطهيره البرّص وإخراجه الشياطين وإقامته الأموات ، واشباعه الجموع من خبز يسير، ومشيه على المياه وانتهاره الرياح، وشفائه لمختلف الأمراض وانهاضه المخلعين ، وفتح عيون العميان ، وآذان الصم وما عدا ذلك ، وليس هذا فقط بل وزاد ذلك ظهوراً فأعطى رسله أن يصنعوا هذه الآيات باسمه القدوس ، قائلا أشفوا المرضى . طهروا البرص . اخرجوا الشيطاطين أقيموا الموتى . مجاناً أخذتم مجاناً اعطوا .

هذه هى الضربات المؤلمة لإبليس وجنوده عندما علم أن المسيح الذى تنبأ عليه الأنبياء قد حضر ، وأنه أظهر أفعالا لائقة بربوبيته ، وكيف أعطى السلطان بكلمته لرسله - وهم قوم ضعفاء - أن يفعلوا الآيات باسمه لأنها لا تكون إلا باسم الإله الذى له القوة فى كل شىء !!

فكان الشيطان يقلق لهـــذا ويضطرب جداً . . فمتى رآه يصوم ويصلى ويصنع أشياء تليق بالبشرية يجد فسحة وراحة ، كمثل فرعون فى ذلك الزمان ويتمادى فى شره ، ولاجـــل عتوه لم يتأمله جيداً لأنه قاسى شرير ولأن سقطته كانت مميتة .

وكان الرب قد أبقاه للضربة الأخيرة ، التى فيهـا عمـــل الفصح الحقيقى الذى

كان مثالا له . فلما صنع الرب المثال وأعطى رسله الكمال أعلمهم للوقت بآلامه المحيية وأنه يبذل نفسه عنهم وعن الكافة ، وليس ذلك لأجله بل لأجلنا لمغفرة خطايانا ، واقتناء الحياة الأبدية .

فيا لهذا التحنن الكثير والمحبة المتوفرة . القائل ليس حب أعظم من هذا أن يبذل الانسان نفسه عن أحبائه . كما شهد أيضاً قائلا : هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية .

وفى تلك الليلة التى عمل فيها الفصح أسلم ذاته للصلب فأكمل بصلبوته كل شىء كتب من أجله .

أمر فى الناموس أن يلطخوا بالدم عتبتى الأبواب الفوقانية والسفلية ثم الجانبين أيضاً إشارة إلى علامة الصليب المقدس ، قال : ويؤكل الخروف مشوياً بالنار ، أعنى نار الروح القدس الذى به قبلناه بالايمان . قال ويؤكل عند المساء لأن الرب مكث على الصليب إلى حين المساء . قال وتكون أوساطكم مشدودة ، أعنى التعبد له باجتهاد ومحبة ، كما يأمرنا ذلك فى الانجيل . وبطرس يقول شـــدوا حقوى قلوبكم وتيقظوا إلى التمام ، أعنى ليس شد الجسد فقط بل والقلب أيضا . قال وتكون أحذيتكم فى أرجلكم . أعنى أنه يجب علينا أن نتناوله ونحن سالكين فى السبيل المستقيم عالمين عاملين بالوصايا الانجيلية كما يقول الرسول: « حاذين أرجلكم باستعداد إنجيل السلام » (أفسس ٦ : ١٥) .

قال وعصيكم تكون فى أيديكم . أعنى أن نكون متمسكين بعصا القوة ، وهى علامة الملك ، ونحن إذا أخذناه بتحفظ تام نرث به الحياة الأبدية .

قال وتأكلونه بسرعة لأنه فصح الرب. أعنى أن لا نكون به متهاونين بل مجتهدين عاملين عالمين أنه ليس شىء دونه ، بل هو فصح الرب الذى به أفصح عن شعبه أى خلصهم .

قال وما يؤكل منه فكلوه أعنى مطايبه .

قال والذى لا يؤكل احرقوه بالنار ، أعنى مثل قرونه وأظلافه وشعره وجلده يحرق بالنار ، ويعنى بالمطايب التى تؤكل للخاص والعام مثل آيات الرب وعجائبه وإظهار مجد لاهوته ، والتى لا تؤكل عند بعض العوام مثل صومه وصلاته وإتمامه الأشياء اللائقة بالبشرية مع آلامه المحيية . هذه الأمور التى يجادل فيها القوم الخارجون عن الإيمان ، وأما المؤمنون فيحرقونها بنار الروح القدس ، ويزيلون شكلها من قلوبهم عالمين أنه إله متأنس فأكل النوعين معاً ، وهما لفاعل واحد جميعا .

قال ولا يبات منه شىء إلى الغد ، ويعنى بالمساء فروغ هذا العمر الحاضر ، والغد هو الدهر الآتى بأن لا نفرط فى شىء مما أمرنا به ولا نبقى معنا شيئا من الارتياب فى أمره لئلا نطالب بذلك إذا وجد معنا شىء منه فى ذلك الدهر العتيد بعد الوفاة .

قال ولا يكسر منه عظم ، وهذا ما ذكره يوحنا الانجيلى لما أتى الجند وكسروا سيقان اللصين اللذين صلبا معه .

قال فلما انتهوا إلى الرب يسوع وجدوه قد أسلم الروح فلم يكسروا ساقيه. ثم شهد قائلا ليتم المكتوب أن عظما من عظامه لا يكسر (عدد ٩ : ١٣ ، مز ٣٤ : ٢٠) ، أعنى بالمكتوب فى هذا الموضع لأجل خروف الفصح . لأن الانجيلى علم بالروح أن هذا كله نبوة عن المسيح الرب ، وكتب هذا ليعلمنا بكمال الفضل أولا فأولا ، وكما قال فى الناموس اصنعوا هذا تذكاراً لخلاصكم من عبودية المصريين .

قال الرب هذا عهد جديد . أعنى أنى تعاهدتكم دفعة أخرى فاصنعوا هذا لذكرى . أعنى أنى تعاهدتكم بالخلاص ، وجددتكم بعد البلاء ، فأبطل بهذا القول الفصح القديم الذى لم تكن به الغاية ، بل إنما كان مثالا محفوظاً إلى حين الكمال كما قال الرسول : « إن الذى كان فى الناموس جميعه إنما هو ظل لما هو مزمع أن يكون ، وليست هى الخيرات بعينها بل رمز لها . قال الرب اصنعوه هكذا لذكرى أعنى فصح الخلاص نصنعه دائماً على الهيئة التى أرانا رئيس الكهنة الأعظم وهو السيد المسيح وليس لتذكار نبى ولا رسول بل للرب له المجد تذكاراً

دائماً . كما أمرنا أن نصنعه إلى حين مجيئه . وكما أن فى عمل ذاك الفصح أهلك الرب ابكار المصريين وهى الضربة الأخيرة . وكذلك فى عمل هذا الفصح أى تقديم ذاته على الصليب الذى به الغاية أهلك الرب مقدم رؤساء الشياطين المعاندة لجنس البشر ، الذين استعبدوهم فى عمل الطوب والطين أعنى الأعمال الأرضية . ولم يدعوهم أن يطلبوا ما يليق بالسموات . فلما أعلن يسوع له ذاته وهو على عود الصليب عندما صرخ قائلا يا أبتاه فى يديك استودع روحى . أظهر أن المتألم عنا هو ابن الله . ثم أظهر الروح متحدة بمجد لاهوته وعرفه بنفسه ها هنا ، وحكم عليه بالعدل ، ونزع منه قوته وسلاحه الذى كان متكلا عليه ، أعنى اسمه الذى كان على الأمم ، إذ كانوا يخدمونه مثل إله . وحط عظمته وألقاه فى الجحيم ! !

وكما أن الرب لما أهلك أبكار المصريين خافت البقية قائلين : إنا هكذا نهلك كلنا ، كذلك لما أهلك رئيس الشياطين الذى قال عنه اشعياء « كيف سقطت من السماء يا زهرة بنت الصبح » (ا ش ١٤ : ١٢) خاف جنوده بأسرهم وافتضحوا . وعلموا أنهم مثله سيهلكون . كما شهد الرسول قائلا إنه أبطل عنا كتاب خطايانا الذى كان مضاداً لنا وأخذه من بيننا وطبعه فى صليبه . وبهذا أى بإظهار أقنومه علانية أخزى الشياطين ورؤساءهم وسلاطينهم .

وكما أمر الرب موسى أن يضرب بحر سوف بالعصا التى بيده . طولا وعرضاً مثال الصليب المقدس . فانشق البحر وعبر فيه بنو اسرائيل وغرق فيه فرعون وجنوده ، وهو كمال خلاص الشعب من عبودية فرعون . كذلك الرب مضى إلى الجحيم بالنفس وهى متحدة باللاهوت وعلامة الصليب أمامه فحطم أبواب النحاس وكسر متاريس الحديد . وأخرج النفوس المحبوسة هناك منذ آدم وعبرهم بحر العمق ولجج الهاوية والظلمة القصوى وداس الموت والجحيم بقوة لاهوته . ولم تمسك نفسه فى الجحيم كما هو مكتوب ولم يعاين جسده فساداً . لأنه متحد بلاهوته الحى ولم يفترق من الناسوت . وأدخل النفوس إلى أرض الميعاد الحقيق الموضع المقدس الذى

ورثه بيمينه . حيث الراحة الأبدية ومسكن فردوس النعيم ثم غرق فرعون الذى هو الشيطان فى عمق بحر النار . وهو كمال الخلاص للشعب المؤمن . وأعده لجند الشيطان من بعده إلى الأبد . وكما رفع موسى الحية فى البرية كذلك ينبغى أن يرفع ابن الإنسان لكى لا يهلك كل من يؤمن به ، بل تكون له الحياة الأبدية . وكما أن الحية النحاسية لم يكن فيها سم الحيات ، وكانت تشفى من ينظر إليها من سم الحيات المميتة فقط ، كذلك اتحد المسيح بجسد كامل مثلنا ما خلا الخطية وحدها ، وبه أى بالجسد يبعد الخطية وينجينا منها ، إذا نظرنا إليه بعين الايمان . وكما أن ببسط يدى موسى هزم يشوع ابن نون وبنو اسرائيل العمالقة الذين كانوا يحاربونهم ويصدونهم عن الدخول إلى أرض الميعاد . وكان موسى إذا رفع يديه تقوى بنو اسرائيل ، وإذا أخفض يديه تقوى العمالقة . ولما أعيت يدا موسى وضعوا له حجارة وجلس عليها ، وهارون وحور أمسكا يديه ، أحدهما من هنا والآخر من هنا . وتقوت يدا موسى واعتزت بالإيمان ومكثتا مبسوطتين إلى غروب الشمس فهزم يشوع عماليق وقتل كثرتهم بحد السيف . وقال الله لموسى اكتب أنه هكذا يمحق الله عماليق من تحت أديم السماء وهكذا لما حارب جنسنا عماليق الذى هو الشيطان وجنده أعداء الحق ليصدونا عن الدخول إلى أرض الميعاد الحقيقى ، أعنى الملكوت الأبدية التى أعدها الله لكافة قديسيه .

أتى الرب لخلاصنا وحيث أنه غير متجسد ولا يرى اتحد بجسد بشرى ليقبل به الآلام عنا .

وهكذا ارتفع على عود الصليب ، وبسط يديه المقدستين بقوة اللاهوت فقهر الشيطان ، ومكث مبسوط اليدين إلى غروب الشمس وتم المكتوب أنه هكذا يمحق الله عماليق من تحت أديم السماء ، أعنى العدو المحارب لجنس البشر . لكى لا يدخلوا إلى أرض الراحة الأبدية التى وعدها الله لكافة الأبرار . وكما كانت يدا موسى مدعمتين على اثنين وهما هرون وحور كذلك صلبوت الرب تم بإثنين ، بنى اسرائيل

والأمم . وكما أن موسى جلس على الحجارة وهو مبسوط اليدين إلى كمال النهار ، كذلك الرب جعل اسمه على الكنيسة المقدسة المبنية على صخرة الإيمان إلى الأبد ! هذه التى اشتراها بدمه الكريم بالصليب المقدس .

وهذه الأشياء وأمثالها صنعها موسى وكانت نبوة على المسيح الرب كما قال الرب لليهود . إن ذاك كتب من أجلى . وشهد لتلاميذه فى طريق عمواس لما بدأ يفسر لهم ما فى الناموس والأنبياء وجميع الكتب على آلامه وقيامته . لكى نفهم نحن هذا من بعد أولئك . ونعلم أنه بإرادته قبل هذه الآلام بأسرها . ولذلك أذن للأنبياء بالروح أن يتكلموا بها . كما شاء وتجسد لأنه حيث هو غير منظور ولا متألم فى جوهر لاهوته اتحد بالجسد ليقبل به الآلام عنا . ولم يتحد به خلوا من النفس العقلية ، بل بنفس ناطقة عاقلة . هذه التى لها قبول الآلام ومذاق الموت وأعلن هذا قائلا إنى أضع نفسى لآخذها وليس أحد يأخذها من يدى ، بل لى سلطان أن أضعها ، ولى سلطان ان آخذها أيضاً .

فيا للعجب الذى يعلو كل فهم ؟ !! غير المتألم بلاهوته قبل الآلام بالجسد لأجلنا !! ملك الملوك وديان كل الأرض اجتمع عليه رؤساء الشعوب بمؤامرة سوء ، ليتم المكتوب فى داود القائل : لماذا ارتجت الأمم وفكرت الشعوب بالباطل ، قام ملوك الأرض والرؤساء اجتمعوا معاً على الرب وعلى مسيحه .

المتكلم فى الناموس والأنبياء والرسل وواهب النطق للبشر كان صامتا فى الحكم. ليتم المكتوب فى اشعياء القائل « كشاة تساق إلى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازيها ».

الذى تخشاه كل السلاطين . ويسود كل الممالك . من أجل تواضعه احتقره هيرودس وعبيده ليتم المكتوب فى اشعياء القائل : « لا صورة له ولا جمال فننظر إليه ولا منظر فنشتهيه . محتقر ومخذول من الناس. رجل أوجاع ومختبر الحزن ... ولكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها ونحن حسبناه مصاباً مضروباً من الله ومذلولا. وهو مجروح لأجل معاصينا . مسحوق لأجل آثامنا . تأديب سلامنا عليه وبجراحاته شفينا » (اشعياء ٥٣)

الملتحف بالنور كالرداء ألبسوه ثوباً أحمر . ليتم المكتوب فى إشعياء أيضاً ، القائل : « من ذا الآتى من أدوم . بثياب حمر من بصرة هذا البهى بملابسه المتعظم بكثرة قوته ، وذلك لأن النبي سبق وأبصر بالروح كيفية آلام المسيح فتعجب هكذا قائلا : « من ذا الآتى من أدوم » لأن أدوم تفسر على السماء كما يقول داود من يبلغنى إلى القرية العزيزة . أو من يرشدنى إلى أدوم . هذه التى جاء منها الرب لخلاصنا . قال وثيابه حمر من بصرة وقد فسرت بصرة بموضع الحكم . هذا الذى منه خرج الرب لابساً ثياباً حمراء أرجوانية . فأجابه الرب للوقت بالروح قائلا : أنا المتكلم بالبر وبكثرة الخلاص . أعنى أنه البار وحده ولأجل خلاصنا العظيم المقدار أتى ، فسأله النبي وهو مذهول قائلا :

« فما بال لباسك محمر وثيابك كدائس المعصرة » (إشعياء ٦٣) أجابه الرب أيضاً قائلا : « أنا قد دست المعصرة وحدى ومن الشعوب لم يكن معى أحد . فدستهم بغضبي ووطئتهم برجزى. وهذا شبيه بقول الرب لتلاميذه : إنكم تتفرقون وتتركونى وحدى ، ولست أنا وحدى بل الآب معى ، وقوله وطأتهم برجزى ، ليدل أنه الحاكم المنتقم ، قال وأنزلت دماءهم على الأرض أعنى بدمائهم نفوسهم التى نزلت إلى أسافل الأرض : أعنى الجحيم .

قال لأن يوم المجازاة أتى عليهم أعنى الدينونة العتيدة . قال وسنة الخلاص قد حضرت ، أعنى أنهم كل سنة يعملون مثال الفصح ، ولم يكن به الخلاص ولا الغاية ، إنما هو مثال لما هو مزمع لا غير، فأما هذه السنة خاصة فقد حضر فيها الخلاص بفصح الكمال ، الخروف الذى بلا عيب أعنى المسيح. قال «فنظرت ولم يكن معين وتحيرت إذ لم يكن عاضد ، فخلصت لى ذراعى » أعنى أن كلهم لا شىء فلما رأيت اتفافهم علىّ فى الشر ، خلصنى حينئذ الذراع القوى أى لاهوتى الذى لا يقهر ! !

اليوم يا أحبائى سيق راعى الرعاة الأعظم كمثل خروف إلى الذبح كنبوة إشعياء النبي .

الذى يعلو كل الآلام تألم بالجسد لأجلنا لكى يخلصنا من الآلام الواجبة علينا . وينجينا من حكم الموت كما تقدم القول فى أشعياء النبى « أن بجراحاته شفينا » .

الذى أنهار الحياة تجرى لنا من قبله ، ويروى كل عطشان ، أعطوه الخل على عود الصليب ليشرب . ليتم المكتوب فى المزمور عند عطشى سقونى خلا ! ! الذى يعطى تاجات مجد وكرامة للمجاهدين كلل بأكليل الشوك ، الذى يهب البشر إكليل مجد فى ملكوته الأبدى .

الذى جلل السماء بالغمام وزين الأرض بالأزهار ، اقترعوا على لباسه ليتم المكتوب فى داود القائل « اقتسموا ثيابى بينهم وعلى لباسى اقترعوا »

الشمس اظلمت لأجل شمس البر ليتم المكتوب فى عاموس النبى . فى ذلك اليوم يقول الرب تغيب الشمس نصف النهار وقت الظهيرة . وتظلم الأرض ونور النهار . العناصر تغيرت لأجل رب المجد . لأنه على عود الصليب .

الأرض تزلزلت ! ! وقوات السماء اضطربت !! الصخور تشققت ! ! والقبور تفتحت ! ! والأموات نهضت ! !

أما رؤساء الكهنة فمكثوا على ضلالتهم وأضلوا الشعب معهم كالمكتوب عنهم فى اشعياء النبى القائل : يا شعبى مرشدوك مضـــلون ويبلعون طريق مسالكك » (اشعياء ٣) ليتم عليهم قول الرب إنهم لم يدخلوا ولا تركوا الداخلين أن يدخلوا .

ولما عاينوا اضطراب وجه السماء والأرض لم يرهبوا ، حتى أن الصخور لانت . وقلوبهم لم تلن . ومن شدة حسدهم لم يتأملوا ذلك بل كانوا محبين فى قتله لئلا يعلو ذكره عليهم . فأما اللص اليمين ، وإن كان قاتلا عابثاً ، فإنه تأمل ذلك الذى حدث وحققه فى نفسه قائلا بحق إن هذا هو المسيح الرب . ولأجله صار هذا بأسره . فلم يتهاون ولا التفت لما هو فيه من ألم الصلب والقتل ولكنه صرخ بصوت عال قائلا : « أذكرنى يا رب إذا جئت فى ملكوتك » .

انظروا حسن يقينه وكيف بدأ أولا يرد اللوم على نفسه عندما انتهر رفيقه أن يسكت قائلا :

إنّا بحق وعدل جوزينا كما فعلنا ، أما هذا فلم يصنع شيئاً من الشر ... ثم صرخ إليه باعتراف حسن مملوءاً إيمانا قائلاً : إذكرنى يارب إذا جئت فى ملكوتك .

ليخز الآن أحبار اليهود الذين يقرأون الناموس . وهم معلمون لقوم آخرين . لأنهم إنما يقرأون المداد ويقبلون الورق فقط ، أما الروح الذى فى الكتاب فلم يفهموه .

ولأجل شرهم وخبثهم لم يكن فيهم روح الله . لأن روح الأنبياء تخضع للأنبياء كما هو مكتوب . وبحق إنهم يشبهون شجرة التين . التى لم يوجد فيها إلا الورق فقط . شبه ورق الناموس الذى كانوا يقرأون ، ولم يوجد فيهم الثمر الذى هو العمل بالناموس ، لأنه يؤول إلى المسيح ، ولهذا أوجبت عليهم اللعنة وما عادوا يثمرون إلى الأبد .

لأنه قد بطل منهم الكهنوت والنبوة والملك مع بقية العمل بالشريعة الأولى . لأن غايتها المسيح ، وبددهم فى كل الأمم . فيخزون ويرذلون إذا سمعوا أن لصاً لم يقرأ الكتب . لما نظر ما قد حدث بغتة ، أظهر العمل بالشريعة من يقينه الصالح . وهتف معلنا قائلا « أذكرنى يارب إذا جئت فى ملكوتك » .

ولأن الرب من أجل تحننه لم يدعهم بغير إظهار عجائب فى وقت الصلبوت ، بل عجائب شتى أحدثها بغتة فى السماء وعلى الأرض ، لكى يجذب عقولهم ، فلما تمادوا فى شرهم صارت الحجة عليهم . ثم أذن للص أن يتأمل ذلك ويصرخ فى وسط الجمهور مبكتاً لهم ، مظهراً عظم ربوبيته قائلا « أذكرنى يارب إذا جئت فى ملكوتك » .

انظروا الآن إلى قوة هذه الكلمة ! ! سأل تذكاره وهو يعرف أنه ليس بانسان ، بل وأقر وأعترف أنه رب المجد !! وفى أى وقت يذكره . قال عند إتيانه فى استعلانه الثانى فى مجد ملكوته . وبحق إنه لما شاهد هذه العلامات بتمييز صحيح زاده الرب ضياء حق حقق معرفته جيداً ، لأن من له يعطى ويزاد . ولم ينـــذر لمجيئه الأول

فقط ، بل والعتيد أيضاً ، الذى سيكون فى مجده المرهوب مع قواته المقدسة . ومن حرارة الإيمان لم يخف ذلك بل صرخ قائلا : أذكرنى يارب إذا جئت فى ملكوتك .

فيا للعجب أن التلاميذ توارروا ، والسقماء الذين أبرأهم الرب من سائر الأوجاع المختلفة لم يعترفوا به فى ذلك الوقت ، بل لص صارخ فى وسط ذلك الجمع المحتفل كمثل كاروز مبشر قائلا : أذكرنى يارب إذا جئت فى ملكوتك ! !

وإن الرب ذا الرحمة والتحنن أعطاه أفضل مما سأل وتمنى وأجابه بصوت مملوء عزاء قائلا : الحق أقول لك إنك اليوم تكون معى فى فردوسى ! !

فالمسيح اليوم يا أحبائى قدم ذاته كمثل خروف . ورفع ذبيحة من أجل خطايانا كما كتب عنه وهو رئيس الكهنة الأعظم كما سماه الرسول ، لأجل هذا اليوم خاصة الذى فيه رفع ذاته ذبيحة قائلا : إنه قدم نفسه مرة واحدة ليبطل الخطية وهو الإله بالحقيقة الذى له ترفع الذبيحة . وقابل الطلبة وغافر الخطية إذ نسمعه يقول للص : الحق أقول لك إنك اليوم تكون معى فى الفردوس ، وذلك لأن الثالوث المقدس فعل واحد فى اللاهوت . فهو الذبيحة وهو الكاهن مقرب الذبيحة عن الخطايا . وهو الإله غافر الخطايا . كما قد أخبرنا الرسول بهذه الأشياء قائلا : إن المسيح قرب نفسه مرة واحدة . وبأقنومه غسل خطايا كثيرة . فلهذا لما رفع ذاته ذبيحة على الصليب كمثل رئيس الكهنة ، أظهر مع ذلك فعل اللاهوت ، وقبل طلبة اللص قائلا : الحق أقول لك إنك اليوم تكون معى فى الفردوس . فهذه الثلاثة أكملها الرب على عود الصليب . سأله اللص بتواضع أن يذكره فى ملكوته . فوهب له الدخول إلى الفردوس قبل كل أحد . فيا للعجب أن نفس كل الأنبياء والصديقين من آدم إلى مجىء المسيح معتقله ، وهم منتظرون هذا اليوم وقد حملوا ثقل النهار وحره بطول مكثهم ، واستحق هذا اللص الدخول إلى الفردوس قبلهم !

وذلك لأنه كان مع السيد الملك حاضراً . قال له الرب الحق أقول لك قولا بتحقيق كمثل من يقسم بيمين إنك اليوم الحاضر هذا لا بعد أزمنة كثيرة تكون معى ، أنا خاصة لا غيرى فى فردوس النعيم ! !

فعندما أسلم اللص الروح . اختطفه اللاهوت الضابط الكل الحال فى كل مكان الكائن مع كل من يصرخ إليه ، وأدخله للوقت الفردوس ! !

ألا ترى أن كل ملوك الأرض الذين هم بشر مثلنا تجد أن أمرهم نافذ فى جميع تخوم مملكتهم . فكم بالأحرى تكون المملكة التى تسود الكل وتضبط السموات والأرض وجميع ما فيها ببساطة اللاهوت ، أن يفعل ما يشاء وينفذ الأمر بغير مانع ، إذ الكل خاضع لسلطان ربوبيته .

طوباك أيها اللص الذى صار فى ساعة واحدة باراً صديقاً . لأنك بشرت من فم الرب بدخولك للفردوس قبل أبيك . آدم والذين معه منذ زمان طويل . فليخز الآن الذين يدينون إخوتهم . فى ظاهر أمرهم فى وقتهم الحاضر ، لانهم لا يعلمون آخرة ما يكون لنا ولهم ! ! ولا كيف تكون ملاقاة الرب بعد الوفاة ولينظروا إلى يهوذا الذى كان معدوداً مع جملة التلاميذ . وإلى اللص الذى كان محسوباً مع القاتلين !!

وكيف فى ليلة واحدة ويوم واحد تبدل كلاهما ، يهوذا سقط من مجد التلمذة وخنق نفسه ومضى إلى الهلاك الأبدى ، واللص دخل قبل كل الصديقين إلى الفردوس وظفر بحياة أبدية لا تنقضى ! !

ولما قبل ربنا يسوع المسيح يا أحبائى هذه الآلام بأسرها على عود الصليب من أجلنا . علم أنه قد دنا الوقت الذى فيه يسلم الروح . ويخلص النفوس المحبوسة ، سلم والدته القديسة الطوباوية مريم لتلميذه يوحنا الإنجيلى . لانه وحده كان قائماً عند صليبه دون بقية التلاميذ لأن رئيس الكهنة كان يعرفه فمضى بها إلى بيته حتى لا تشاهده عند تسليم الروح فتقلق ، لأن الرب إله متحنن فى كل شىء ! !

ثم بعد هذا كله لما علم أن كل شىء قد كمل ليتم المكتوب ، قال أنا عطشان . عطش ينبوع الحياة ليروينا نحن من امتلائه الذى لا يحد ! ! وهو القائل من كان عطشانا فليأت إلىّ ويشرب . وقال للسامرية من يشرب من الماء الذى أنا أعطيه فلن يعطش إلى الأبد . لأن الماء الذى أنا أعطى فيه ينبوع ماء الحياة الأبدية . وإن واحداً من القيام أخذ أسفنجة وملأها خلا وأدناها من فيه . فلما شرب الخل قال قد تم

الكتاب القائل عند عطشى يسقونى خلا . وإنما قال أنا عطشان لا لأن الخل يروى من العطش ، بل ليتم المكتوب .

ويظهر أيضاً مكيدة اليهود الأشرار . وأن كل ما صنعوا به كان ضد الناموس الذى يزعمون أنهم متمسكون به لأن العادة قد جرت أن يسقوا من يريدون قتله الماء . أما يسوع فلما طلب الماء سقوه خلا . قال الكتاب . فأمال رأسه وأسلم الروح . أعنى أنه مات باختياره لا مقهوراً . فأما متى ومرقس فذكروا الصوت الذى ناداه بالعبرانية وهو أول المزمور الحادى والعشرون « إلهى إلهى لماذا تركتنى » . قال هذا ليجذب عقول ذوى الفهم إلى بقية المزمور لأن فيه ذكر داود بقية آلام الرب ، واجتماعهم عليه ، واستهزاءهم به والمسامير واقتسام ثيابه بالقرعة قائلا : أحاطت بى كلاب كثيرة جماعة من الأشرار اكتنفتنى . ثقبوا يدى ورجلى . واقتسموا ثيابى بينهم وعلى لباسى اقترعوا . وقالوا إن كان متوكلا على الله فلينجه ويخلصه إن كان يحبه . فلهذا ذكر الرب أول هذا المزمور على عود الصليب . ولم يذكره بلغة أخرى سوى العبرانية التى هو بها مكتوب ، لكى يفهموا إذا قرأوا ! !

وقد ذكر متى ومرقس الخل أيضاً ، وأن الرب صرخ بصوت عظيم وأسلم الروح لنعلم أنه بإرادته أسلم الروح بقوة لا بضعف . أما لوقا فإنه بين لنا ما هو الصوت فقال وصرخ يسوع بصوت عال قائلا يا أبتاه فى يديك استودع روحى . ولما قال هذا أسلم الروح . ومعلوم أن الذى يضعف ويخرس منطقة فبجهد يسلم الروح . فأما هذا فإنه صرخ بصوت عظيم ليعلن أنه ابن الله . وهو القائل إنى أضع نفسى لآخذها أيضاً . ولى سلطان أن أضعها . ولى سلطان أن آخذها أيضاً ، وليس أحد ياخذها من يدى .

وقال ها هنا يا أبتاه فى يديك أستودع روحى . وذلك لأنه يد الآب وقوته كما قال الرسول ، وأن الثالوث الأقدس فعل واحد .

وإنما قال هذا عند تسليمه الروح ، لأن الشيطان كان مسلطاً على النفوس منذ آدم لأجل المخالفة ، فلما جاء الرب من السماء الذى تجسد وصار آدم ثانى لرجاء الحياة

المستأنفة . قال يا أبتاه ليعلن أنه ابن الله الوحيد . قال فى يديك الذى هو واحد معه فى اللاهوت .

قال أستودع روحى أعنى كما أن بآدم تسلط الشيطان على الأرواح كذلك بى أنا من الآن يخلصون ويكونون فى يديك ياذا القوة ، والرسول يقول كما فى آدم يموت الجمع كذلك بالمسيح يحيون .

قال الإنجيل المقدس ، عند إعلان الصوت : للوقت انشق ستر حجاب الهيكل من فوق إلى أسفل . أعنى أنه نزع منه فعل الروح القدس الذى كان فاعلا فى الناموس العتيق . لأن غايته(*) كانت إلى مجىء المسيح .

فلما نزع الروح من الهيكل الذى لليهود . شق ستر الحجاب للوقت . لأن ضحايا الحيوان ودم الجداء قد بطلت برفعه ذبيحة عن الجميع وإتمامه الغاية .

قال والأرض تزلزلت والصخور تشققت والقبور تفتحت وكثير من أجساد القديسين الراقدين قاموا من قبورهم وخرجوا بعـــد قيامته ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين فخلص الشبه شبيهه .

النفس مضت إلى الجحيم متحدة باللاهوت فخلصت النفوس ، والجسد على الصليب متحداً باللاهوت أقام الأجساد !! وأما الزلزلة فليعلن قوته وأن موته لم يكن بضعف على غالب الموت ! ! الذى موته زلزل الأرض بإعلان قوة الصوت . وأن موته بإرادته ومشيئته ! ! القائل لى سلطان أن أضع نفسى ولى سلطان أن آخذها .

وأما تشقق الصخور فلتبكيت الذين قلوبهم لحميه كما يزعمون ! ! وكيف أن الصخور الصلبة تشققت ، وهم الذين يقرأون الناموس لم تلن قلوبهم ولم تخشع فيتوبوا ليغفر لهم بكثرة تحننه .

قال الإنجيل : وأما قائد المائة والذين كانوا معه يحرسون يسوع فلما نظروا الزلزلة وما حدث خافوا جداً وقالوا : حقاً إن هذا هو ابن الله ! ! أعنى أن الأمم

(*) أى أن مهمة الناموس كانت إلى مجىء المسيح .

الذين لم يكن لهم ناموس ومنهم القائد والجند الذين معه ، ولما نظروا الآيات الكائنة مع الزلزلة التى حدثت عند تسليم الروح ، خافوا جداً وخشعت قلوبهم ! ! وبفعل المصنوعات استدلوا على الصانع وقالوا حقاً إن هذا هو ابن الله ! ! إنهم لم يقرأوا كتاباً ! ! بل سمعوا من اليهود لما شكوه لبيلاطس قائلين : إنه قال عن نفسه إنه ابن الله . فلذلك قالوا عند نظرهم ما كان « حقاً يقيناً وقوله حق وهو ابن الله بالحقيقة بلا شك ولا افتراء » . قال الكتاب : وكل الجمع الذين كانوا مجتمعين . لهذا المنظر لما عاينوا ما حدث رجعوا وهم يدقون صدورهم !! أعنى انهم عند ما شاهدوا الآيات الحاصلة ، لم يتمالكوا البقاء بل رجعوا وهم متأسفون على ما فعله رؤساء الكهنة الأشرار ، وكانوا يضربون صدورهم من كثرة الحزن والألم !!

فلما كملت هذه الأشياء المخوفة بأسرها ، حينئذ إذن الرب أن تعود الشمس إلى ضيائها عند غروبها بعد تسع ساعات من النهار ، وهدأت الطبيعة واستقرت ، ليعلن أنه راض على الأرض ومن عليها . وأن صلبوته للرحمة لا للإنتقام والغضب . وإنما صنع هذه العلامات لتظهر قوته . وأعاد ضوء الشمس ليتم المكتوب فى زكريا النبى القائل : إنه سيكون يوم واحد . وذلك اليوم معروف للرب . لا نهار ولا ليل . ثم يكون الضوء أوان العشاء . انظروا الآن إلى قول النبى إنه يكون يوم واحد . أعنى أن ليس له ثان . كما قال الرسول « إنه قرّب نفسه مرة واحدة » .

قال النبى : وذلك اليوم معروف للرب . أعنى أنه له خاصة ومعروف إلى الأبد لتذكار آلامه . قال لا نهار ولا ليل . أعنى أنه مقسوم وفيه نور النهار وظلمة الليل . ثم قال ويكون الضوء أوان العشاء . أوضح فى النبوة بيان أن ضوء الشمس يكون قريباً من العشاء كما قد حدث ! ! ثم بعد ذلك مضى اليهود الذين لم تتخشع قلوبهم وذهبوا إلى بيلاطس وسألوه كسر سيقان المصلوبين لكى يموتوا سريعاً وينزلوهم لأجل ليلة السبت . لأن ذلك السبت كان عندهم عظيما . لأنه سبت أيام الفطير السبعة . قال الكتاب المقدس . فجاء الجند أعنى المرسلين معهم من عند بيلاطس غير الجند الأولين الذين آمنوا وكسروا سيقان اللصين اللذين صلبا معه . فلما انتهوا إلى الذى

يعلم الاشياء كلها قبل وقتها ، وجدوه قد أسلم الروح بإرادته فلم يكسروا ساقيه ، ليتم قول الكتاب إنه لا يكسر له عظم !! أعنى القول الذى تقدم عن خروف الفصح . الذى هو مثال على المسيح . ولكن واحداً من أولئك الجند الأشرار الذين أتوا معهم ، أراد الحظوة عندهم ، فطعنه فى جنبه بحربة لكى يتم المكتوب فى زكريا النبى القائل : سينظرون إلى الذى طعنوه ، وللوقت خرج ماء ودم ! ! .

أما الماء فيدل على أنه مات بحق . بتسليمه النفس . وأما الدم فليدل أيضاً على أنه حى بحق باتحاد اللاهوت بجسده المحيى بغير افتراق . لأن كلا منهما كان بمفرده أعنى الماء والدم من غير اختلاط .

وها داود النبى يعلن لنا هذا الموضوع جيداً فى المزمور الثامن والستين قائلا : جعلوا فى طعامى مرارة . أعنى الخل المخلوط بمرّ الذى أعطوه وقت أن أرادوا صلبه .

فذاق ولم يشأ أن يشرب كما شهد النبى . قال : وعند عطشى سقونى خلا . أعنى أن فعلهم كان تشفيا ببغضة خارجاً عن ناموس الشريعة ، وعن ناموس الملوك أيضاً الذى جرت به العادة . ولكن ما الذى قال بعد ذلك . قال فلتكن مائدتهم أمامهم فخاً وللآمنين شركا . أعنى بمائدتهم خدمتهم التى هى ضحايا الحيوان التى كانت مثالا على جسد الرب الكريم ودمه الزكى . وأنه بدمه خاصة يطهر الجميع . فحيث جاء الحق ولم يقبلوه . صار ذلك الذى لا جدوى له فخاً وعثرة بلا شك عنده . لأنهم تمسكوا بالظل . وتركوا الحق .

قال : وتظلم عيونهم فلا يبصرون . أعنى أنها تظلم عن معرفة نور الحق الآتى إلى العالم . كما شبههم الرب بعميان يقودون عمياناً . وقال لهم أيضاً ، إن النور معكم زماناً يسيراً فسيروا فى النور ما دام لكم النور لئلا يدركم الظلام .

قال وتكون ظهورهم منحنية دائماً كل حين ، أعنى تحت نير الملوك الغريبة منهم الذين قد ملكوا عليهم مثل سبى بابل .

قال صب عليهم رجزك . وتدركهم شدة سخطك . أعنى سبى اسبسيانوس لهم مع القتل الشديد الذى نالهم منه . هذا الذى أدركهم سريعاً بعد صعود الرب بأربعين سنة .

قال لتصر منازلهم خراباً. أعنى تخرب منهم بإبادتهم بالسيف مع الجلاء والتبدد الذى أصاب البقية كما تشاهد الآن .

قال ولا يسكن مساكنهم من يعمرها أعنى خراب أورشليم والهيكل وابطال خدمتهم فيه .

قال لأنهم اضطهدوا الذى ابتليت . أعنى أنه أتى متواضعاً وقبل عليه الأشياء الواجبة علينا لينقذنا منها كما قال الرسول : بما أنه تجرب وتألم هو قادر على أن يعين الذين يحزنون ويبتلون . فأما هم عوضاً عن قبوله اضطهدوه . قال وزادوا الجريح جراحاً ! ! أعنى طعنوه بالحربة التى زادوها بعد تسمير المسامير لأن هذا الأمر بغير حكومة الملوك ولا عدل العامة ، لأن الطعنة كانت بعد تسليم الروح ! ! وكان هذا عبثاً منهم وبغضاً . فلأجل هذا ذكر داود النبى هذين الفعلين خاصة فى هذا الموضوع ، الخل والطعنة . ودعا عليهم أولا بهلاك فى الدنيا عاجلا كما قد حصل بهم . ثم ها هنا بعد ذلك دعا عليهم بالهلاك المؤبد دائماً . فقال زدهم على إثمهم آثاما . أعنى الإثم الذى صنعوه بالأنبياء فيزدادون آثاما أضعاف ذلك لما قد صنعوه برب الأنبياء . كما قال الرب ، إن هذا كله يأتى على هذا الجيل وينتقم منهم . عن دم كل الصديقين الذى أهرق على الأرض من دم هابيل إلى دم زكريا . وذلك لأنهم تركوا إلى مجىء المسيح .

قال ولا يدخلون فى عدلك . أعنى بعدله المساواة بين الكل فى الإيمان فلا يستحقون ذلك لأنهم لم يطيعوا .

قال يمحون من سفر الحياة . أعنى سفر الحياة الذى ذكره موسى والأنبياء فيمحون هم منه .

قال ولا يُكتبون مع أبرارك . اعنى الذين يتبررون بالنعمة مجانا بربنا يسوع المسيح . لا يكون لهم حظ فى ذلك ولا نصيب لكفرهم وعتوهم .

هذه النبوات وأمثالها يا أحبائى أكملها الرب على عود الصليب المقدس من أجلنا . ليوصل إلينا الحياة اللائقة به . سرّ غير المتألم أن يتألم بالجسد من أجلنا .

ليوصل إلينا الصحة من الآلام . سرّ الذى يعلو ويفوق كل مجد وكرامة أن يتألم عنا. ليوصل إلينا المجد اللائق . سر رئيس الحياة أن يكون بالجسد من أجلنا . ليوصل إلينا الحياة الملائمة لعظمة أزليته .

لك أيها المسيح الذى تألم عنا نعبد ، ولآلامك وصلبوتك نسجد .

نمجد آلامك ونعظم صليبك المقدس . ونعترف بموتك ونبشر بقيامتك .

ونترجى أتيانك إلى حين مجيئك لأن بهذا صار لنا برآ وتطهيراً وخلاصاً وافتخاراً ونرتل مع الرسول القائل « أما أنا فحاشا لى أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح . الذى قد صلب العالم لى وأنا للعالم » هذا الذى به أيضا افتخرت الملائكة القدسيون قائلين للنسوة أنتن تطلبن يسوع المصلوب ليس هو ههنا لكنه قام كما قال لكنّ وهذا الموضع الذى كان فيه الرب واعترفوا بالمصلوب أنه رب المجد وافتخروا وسُرّوا وبشروا النسوة بذلك .

فيجب علينا أن نعطى مجداً وكرامة للرب الذى شاء أن يتألم عنا من غير أن يظهر منا عمل صالح نستحق به ذلك كما كرز الرسول قائلا : لأن المسيح إذ كنا بعد ضعفاء مات فى الوقت المعين لأجل الفجار لأن بالجهد يموت أحد لأجل بار .

فمن ههنا عرّفنا الله محبته لنا لأننا إذ كنا خطاة أثمة مات المسيح لأجلنا .

وقال أيضا أنتم الذين كنتم من قبل غرباء بضمائركم وأعداء بسوء أعمالكم ألف بينكم ببذله جسده للموت ليقيمكم بين يديه أطهاراً بلاعيب . فلا ننسى الآن آلامه المحيية كما أوصانا أن نذكرها فى كل وقت عند تقدمة الأسرار المقدسة إلى حين مجيئه فى مجد ملكوته ونرتل قائلين لك أيها المسيح الرب نعبد ولآلامك المحيية ولصلبوتك نسجد ننظر إليه بعين الإيمان ونحيا من السم الذى للحية القديمة هذه التى أضلت أبانا آدم وأخرجته من الفردوس ولم يشفه هو وذريته إلا رفع الرب على الصليب وهو باق إلى الأبد يعطى الحياة لكل من ينظر إليه بعين الإيمان ، وليس لحياة زمنية بل لحياة أبدية كما يليق به . إن الرسول يأمرنا بذلك قائلا نسعى الآن بالصبر للجهاد

الموضوع لنا وننظر إلى يسوع الذى صار رئيس إيماننا ومكمله إذ احتمل الصليب يبذل ما كان أمامه من الفرح . ثم أكد قائلا فكروا فى نفوسكم كم أحتمل من الخطاة أولئك الذين صاروا أضداد نفوسهم فأمرنا أن نجعل آلام المسيح فى فكرنا، مكتوباً على قلوبنا ، مرسوماً على أيدينا ، مصوراً أمام أعيننا ، ماثلا قدامنا .

وبقوة الصليب ننجو لأن بالصليب خلص الأبرار الذين كانوا والذين يكونون أيضا . بالصليب كان خلاص الآباء الأولين والأنبياء وكافة الصديقين . بالصليب سبى الرب الجحيم وفتح الفردوس . بالصليب تتقدس الكنائس . بالصليب يكون حلول الروح القدس على المعمودية وتلدنا بنين لميراث الحياة الأبدية . بالصليب يكمل تقديس الأسرار الروحانية . بالصليب تكون رتبة الكهنوت. بالصليب تكمل جميع خدمات المسيحية الرسولية .

بالصليب صنع الرسل الآيات . بالصليب عمل القديسيون العجائب . بالصليب طرد المجاهدون الأرواح الشريرة . بالصليب يتقدس كل شىء . لأنه علامة الملك المسيح . وحيث يرشم فى التقديسات يحل الروح وتكمل القداسة . لأن الصليب علامة الإبن ، والروح فاعل مع ذلك .

الصليب ضياء الكنيسة ومثاله فوق الهيكل . بالصليب افتخر الملوك الأبرار . بالصليب أفتخر قسطنطين الملك وأمه هيلانه وأولاده قسطة وقسطس ، بعلامة الصليب هزم قسطنطين جيوش البرابرة وظهر الصليب فى أيامه وصار له بذلك ذكر أبدى . وضع علامة الصليب فوق رأسه على تاجه ليكون له قوة ومعونة وخلاص . وضع كل الملوك المؤمنين الصليب فوق التيجان على رؤوسهم ، مفتخرين بذلك ، مظهرين به بهاء مجد الإيمان بالمسيح الملك الحقيق . فلنرسم نحن علامة الصليب المقدس على وجوهنا ، ونحصن به كل أجسادنا إذ نضع رسمه على كل أعضائنا .

هذا المثال المقدس ، الذى ظهر أولا برمز النبوة عند قول الله لموسى خذ العصاة التى تحولت فى يدك ثعباناً ، اصنع بها العجائب بمصر واضرب بها البحر الأحمر طولا

وعرضا مثال الصليب فينشق ! ! وهذا كان مثالا على خشبة الصليب المقدس . الذى يصنع العجائب والقوات والتقديسات وليس فى زمان واحد مثل ما صنع موسى ، بل فى كل زمان ومكان ، هذا الذى أظهر مثاله أيضا يعقوب إسرائيل لما بارك على أولاد يوسف حين حضرته الوفاة عندما جعل يديه على مثال الصليب وباركهم ثم سجد على رأس عصاه أظهر مثال الصليب الذى به تكون البركات ، وسجوده على رأس خشبة إشارة لخشبة الصليب . وكما وضع يده اليمنى على رأس إفرايم وهو الأصغر ويده اليسرى على رأس منسى وهو الأكبر وقال إن إفرايم يعطى أكثر من منسى كذلك شعوب الأمم عظموا أكثر من بنى إسرائيل لأن صلبوت الرب من أجل الأمم وبنى إسرائيل معاً .

فيجب أن نعلم كرامة الصليب المقدس ونحفظها بكل وقار كما أوصانا الرب أن نحمل الصليب ونتبعه لكى نستحقه أعنى أن نموت عن أوجاع العالم كما قال الرسول إن حياة الأحياء ليست لأنفسهم بل الذى مات عنهم وقام لكى يكون رب الأحياء والأموات . ولتكن سيرتنا كما يلائم موت الرب ، لأن الذى مات قد نجا من الخطية ، وتحرر منها كما يقول الرسول . ثم يعلمنا ما هو الموت قائلا أميتوا أعضاءكم التى على الأرض التى هى النجاسة والزنا والشهوة الخبيثة ، وما شابه ذلك . ثم يعظنا قائلا إننا نحتمل فى كل حين فى أجسادنا موت الرب يسوع لكى تظهر حياة يسوع فى أجسادنا المائته (٢ كو ٤ : ١٠) فإذا كنا نحن الأحياء نسلم إلى الموت من أجل يسوع وكذلك حياة يسوع تظهر فى أجسادنا المائته ، فقد صح أن نتشبه بموت الرب فنموت عن الخطية والشهوة العالمية . كما يبين ذلك أيضا قائلا « إنكم لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية » (عب ١٢ : ٤) ويأمرنا أن نخرج عن سيرة هذا العالم لنكون وارثين الدهر الآتى قائلا « فإن الحيوانات التى كان رئيس الكهنة يدخل بدمائها عن الخطية إلى الأقداس ، إنما كانت لحوما تحرق بالنار خارج المحلة ، كذلك يسوع أيضا لما أراد أن يطهر شعبه بدمه تألم خارجا عن المدينة ، فلنخرج نحن

أيضا إليه خارج المحلة حاملين عارة لأنه ليس لنا ههنا مدينة باقية لكننا نطلب العتيدة » (عب ١٣ : ١١ - ١٢) .

أنظر الآن المماثلة فى العتيقة كيفما أكلم الرب إلى غاية التطهير بدمه الكريم ، ولم يوجب علينا مماثلة سفك الدم بسبب ضعف البشرية ، بل أمرنا بالخروج عن سيرة العالم حاملين علامة الصليب الذى يعيرنا به القوم غير المؤمنين . وهو لنا مجد وخلاص ! ! . . ويعلمنا أن هذا العالم لا نبقى فيه مخلدين فلذلك يجب أن يكون رجاؤنا فى ذلك الملكوت العتيد الذى لازوال له .

فلنحب إخوتنا من أجل الذى أحبنا وبذل ذاته عنا ، ولنرحم المساكين من أجل الذى رحم المأسورين والضالين ومات عن الجميع . ولنصنع صلحا وسلاماً مع أخواتنا من أجل الذى بدم صليبه أصلح ذات كل بعيد وجعل الفريقين واحداً . لنحفظ أجسادنا طاهرة وكل حواسنا كى نموت مع المسيح عن أركان هذا العالم ولنتفقد المحبوسين من أجل الذى أخرج المعتقلين بسبب آدم وأدخلهم إلى الفردوس .

هذا هو السلوك فى إثره ، والمثابره على حفظ وصاياه .

ونحن نسأل الذى اتضع بين المنافقين من أجلنا وتألم لراحتنا ومات لحياتنا أن يحرسنا أجمعين ويتحنن علينا بسعة رحمته ، مع الذين تعاهدهم بالخلاص بصليبه المقدس ، ويلهمنا العمل بوصاياه ويزرقنا راحة ومغفرة فى محكمته المرهوبة . بشفاعة سيدتنا الطوباوية الطاهرة البتول مريم ، والرسل الأفاضل الأطهار ، والشهداء والقديسين الأبرار ، ومن أرضى الرب بأعماله الصالحة آمين .

✝

بسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد آمين

ميمر القيامة المجيدة

للأب المكرم القس بولس البوشى

صلاته وبركاته تشملنا إلى النفس الأخير آمين

يا من قام من بين الاموات . وداس الموت . وانعم علينا بحياة جديدة لا تبتلى .

أيها المسيح إلهنا أقم عقلنا الميت لكيما نشاهد مجد لاهوتك غير المدرك .

أيها الرب القدوس الذى أبطل أوجاع الموت بقيامته المقدسة ، أبطل عنا قوات العدو المميتة للنفس ، لكيما نسلك معك فى حياة لا تفنى .

أيها السيد الأزلى ، ثبت فينا رجاء حياة الدهر الآتى التى ليس لها انقضاء واغرس فى قلوبنا رجاء خيرات ملكوتك الابدية .

أيها الرحيم المتحنن الذى بقيامته المقدسة أعطى جنسنا السلطان أن يكون لنا معه حظ فى القيامة العتيدة .

اجعل لنا نحن أيضا نصيبا فى ذلك الارث مع كافة قديسيك أيها الصالح يا مدبر كل البرايا .

يا مَن يغير جسد ضعفنا فيصيره شبيهاً بجسد مجده فى نعيم لا يبلى وحياة لا ينالها موت ولا نصب . اعطنا قوة ها هنا لتنقلنا من العادات الردية إلى الأعمال المجيدة الفاضلة ، لكى نستحق انتقالا فاضلا مع كافة قديسيك الذين أرضوك منذ البدء . وهب لى أنا أيضا أيها السيد ـ يا من وهب الحياة مجاناً بقيامته المقدسة لكل البرية ـ منطقا لأنطق على قيامتك من بين الاموات .

اعطنى فهماً يا رئيس الحياة الذى أعطى حياته بقيامته لكل الهالكين ، لأخبر بفعل قوتك التى لا تقهر .

امنحنى قولا يا عمانوئيل إلهنا ، الذى منح العالم فداء من الموت بقيامته المتيدة لأتكلم على قوة جبروتك وحسن ضياء قيامتك التى بها أضأت كل المسكونة .

الآن ابتدىء وأقول :

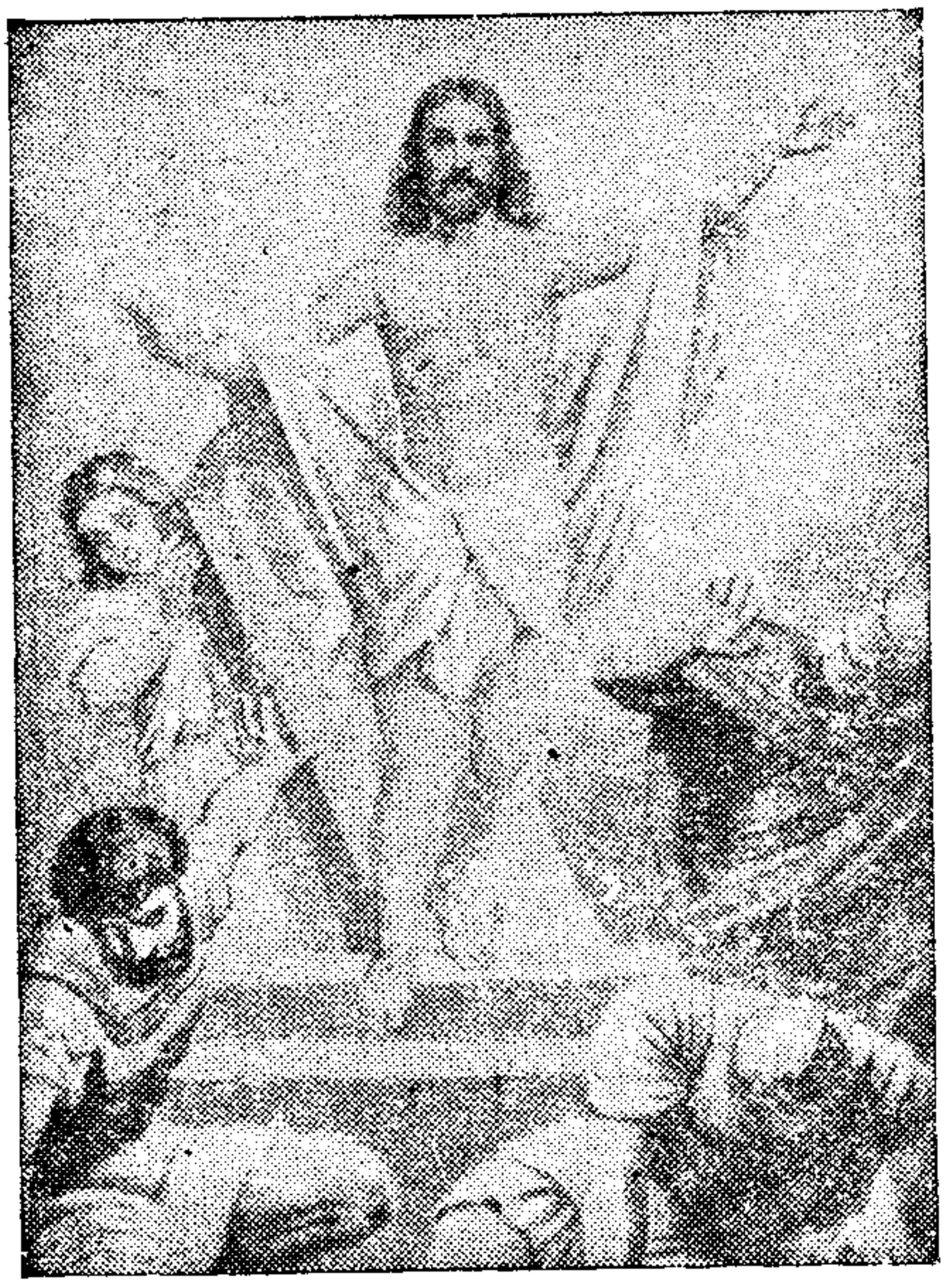

المسيح قام من بين الأموات والذى مات وداس الموت والذين هم فى القبور أنعم لهم بحياة أبدية .

الذى مات أبطل شوكة الموت . الذى مضى بقوة لاهوته إلى الجحيم سبى الجحيم وخلص النفوس التى كانت تنتظره . فتح باب الفردوس برجاء الحياة لكافة الأجناس

الذين لم يكن لهم رجاء . هيأ لنا طريق الملكوت . أصلح لنا سبيلا يؤول إلى الحياة الجديدة . فتح أمامنا باباً يفضى إلى المنازل الدهرية .

كيف يستطيع المولودون من الأرض أن يكنزوا الحياة الأبدية . فى جوهرهم لو لم يتحد بهم رئيس الحياة ورب القوات ويهب لهم الحياة التى تليق به ؟ ! كيف يقدر المسجون على التبرر لو لم يخالط بشريتهم الضعيفة الإله المتجسد البار وحده ويوصل إليهم المجد الملائم له ؟ ! كيف يمكن للذى يبلى أن يلبس ما لا يبلى لو لم يتجسد من انسانيتهم الرب الإله الذى لا يتغير ولا يزول ؟ !

فوهب لهم عدم الفساد . وصار رئيس الحياة متقدماً فى البعث من بين الأموات . وكما تقدم الموت إنسان ترابى ، كذلك تقدم الحياة الرب السماوى البار وحده . الذى بلا خطية وله الاستطاعة أن يغفر الخطايا . وهو البار وحده الذى بلا عيب ، وله القدرة أن يبرر ويحيي إلى الأبد كما يليق به .

وكما أن الموت الذى صار إلينا من أبينا آدم الأول لم يكن غريباً عنا ، بل صار إلينا بنسبتنا البشرية إليه . كذلك الحياة التى صارت إلينا بالمسيح لم تكن غريبة عنا . بل صارت إلينا بالنسبة لتجسده منا تفضلا منه علينا .

فكان الموت بالعدل وكانت الحياة بالانعام والرحمة ! !

حقاً . لقد افتخرنا بالرب كما هو مكتوب وارتفع قرننا بالإله مخلصنا وفرحنا بخلاصه .

وكما أن الله خلق البرية منذ البدء تفضلا منه عليها ولا حاجة به إليها . كذلك كان من واجب عدله أن يتعاهد بريته . لا لحاجة له إلى ذلك ، بل تفضلا منه ورحمة . فخلقها أولا بحياة زمنية ، وتعهدها ثانية وجددها بحياة أبدية ! !

أولا : صنعها لعالم الفناء . ودار الأتعاب والأوصاب .

ثانياً : أقامها لعالم البقاء ودار النياح والنعيم والأفراح .

ولما خلق أبانا آدم وجعله فى فردوس النعيم ، أمره قائلا : من كل الأشجار « كل » ما خلا من هذه الشجرة الواحدة لا تأكل . فإنك فى اليوم الذى تأكل منها « موتاً تموت » .

فأكل آدم ولم يمت فى ذلك اليوم . بل بعد تسع مائة وثلاثين سنة .

وكلام الله لا يكون باطلا ، بل كما أن الموت المحسوس هو افتراق النفس من الجسد ، كذلك الموت المعقول هو افتراق روح الله من الانسان . لأن بإفتراق الأفضل من الأدنى ، يكون موت الأدنى بلا شك ، لأنه سبب حياته . فمنذ أكل آدم من عود المعصية ، انتزع روح الله منه فمات بحق من الله موتاً معقولا ، الذى هو الموت الحقانى . لأن الموت المحسوس إن هو إلا انتقال بالنسبة لمن عمل وصايا الله . فلما نزع الله روح قدسه من آدم فى ذلك اليوم الذى أكل فيه من الشجرة المنهى عنها مات موتا معقولا ثم حكم عليه بعد ذلك بالموت المحسوس قائلا : ملعونة الأرض من أجل عملك هذا . شوكا وحسكا تنبت لك كل أيام حياتك . وبعرق جبينك تأكل خبزك حتى تعود إلى الأرض التى أخذت منها لأنك تراب وإلى التراب تعود .

فنفذ الله فيه الموت المعقول فى ذلك اليوم ثم حكم عليه بالموت المحسوس . وبهذا فقد رجاء الحياتين وكذلك نسله من بعده مثله . ولم يقدر أحد من كافة نسله أن يرد إلينا الحياة الأبدية التى بلا انقضاء لأنه غير لائق لهذا . لأن الحياة التى بلا انقضاء لا تكون إلا للذى هو بلا انتهاء . ولم يكن ذلك إلا الإله . لكنه لا يوصلنا إليها بلاهوته لأننا لا نحتمل ذلك . فتفضل وأوصلنا إليها بالتجسد العجيب ! !

لأنه حيث هو غير منظور بلاهوته ، اتحد بجسد بشرى كامل مثلنا فى كل شىء ماخلا الخطية وحدها . فأوصل الحياة لذلك الجسد المتحد به . ثم قبل به الآلام عنا . وأظهره غالبا للآلام والموت بقيامته من بين الأموات . ثم أوصل إلينا الحياة الأبدية بالنسبة لذلك الجسد المأخوذ منا .

وزاد هذا تفضلا لأنه أراد أن لا نكون غرباء منه . فأشركنا فى ذلك الميلاد الثانى وقبول الروح القدس . وأعطانا من سرائره المحييه كما قال . إن لم تأكلوا جسد ابن الإنسان وتشربوا دمه فليست لكم حياة أبدية فيكم . من يأكل جسدى ويشرب دمى يثبت فىّ وأنا فيه (يو٦ : ٥٣) .

وبدون هذا السبيل لا يقدر إنسان أن يرث ملكوت السموات . وإن كان الرب قد أقام الموتى ليظهر قوته ، فقد ماتوا أيضاً ثانية وعادوا إلى ترابهم منتظرين القيامة الجامعة للكل . أما الرب فإنه بكر الإنبعاث من بين الأموات . ولا يعود يموت ثانية كما قال الرسول . وبهذا صار هو البكر فى الإنبعاث ومتقدم كل الخيرات .

وإذ رأى البشر الجسد الذى كان بالياً قد انبعث من بين الأموات حياً عديم الفساد بقوة اللاهوت ، علموا أن الانتقام قد مضى . والموت قد انقضى والحياة قد أقبلت والخلاص قد حضر . وليس ذلك بإنسان ، بل بقدرة الرب إله القوات .

فلنرتل اليوم مع بولس الرسول قائلين :

« الآن قد قام المسيح من بين الأموات . وصار باكورة الراقدين لأنه كما فى آدم يموت الجميع هكذا فى المسيح سيحيا الجميع . ولكن كل واحد فى رتبته . المسيح باكورة . ثم الذين للمسيح فى مجيئه . وبعد ذلك النهاية » (١ كو ١٥ : ٢٠) .

وقال فى رسالة أخرى : « لأنه إن كان بخطية الواحد قد ملك الموت بالواحد فبالأولى كثيراً الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر سيملكون فى الحياة بالواحد يسوع المسيح . فإذا كان بخطية واحدة صار الحكم إلى جميع الناس للدينونة هكذا ببر واحد صارت الهبة إلى جميع الناس لتبرير الحياة . لأنه كما بمعصية الإنسان الواحد جعل الكثيرون خطاة هكذا أيضاً بإطاعة الواحد سيجعل الكثيرون أبراراً » (رو ٥ : ١٧ - ١٩) .

هذه الموهبة كملت لنا اليوم يا أحبائى بقيامة ربنا يسوع المسيح . التى بها تفرح قلوبنا . وتتعزى من تذكار آلامه المحيية التى قبلها من أجلنا .

اليوم يا أحبائى كملت كلمة داود النبى القائل : « فى المساء يكون البكاء وفى الصباح يكون السرور » لأن النساء اللواتى كن يندبن ويبكين عليه بالأمس وقت المساء ، لما أشرق باكر اليوم من الملائكة رجعن بفرح عظيم من القبر ليخبرن تلاميذه الرسل الأطهار القديسين بأن الرب قد قام وهوذا يسبقكم إلى الجليل ! ! ثم زادهن فرحاً وسروراً بما قاله لهن بعد بشرى الملائكة أفرحن . فتقدمن ومسكن قدميه وسجدن له .

ثم أن الإله المتحنن أزال عنهن الخوف الذى اعتراهن من اليهود الأشرار ، بما قاله لهن لا تخفن . أعنى أنكن قد رأيتمونى وانتعشت قلوبكن .

ثم قال اذهبن وقلن لإخوتى أن يذهبوا إلى الجليل هناك يرونى . يا لهذا الرجاء والعزاء الذى لا يحد .

إنه دعا البشر اخوته لأجل التجسد العجيب . كما هو مكتوب إنى أبشر باسمك اخوتى . وأنهم إذا حفظوا وصاياه يقبعثون مثله بلا فساد لأنه رمز حياتهم . وأن الإبن الوحيد صار بكراً لإخوة كثيرين كما شهد الرسول . ومع هذا لم يترك عنه الوحدانية ، فهو وحيد مولود من الآب قبل كل الدهور . وبكر لإخوة كثيرين فى الانبعاث من بين الأموات .

فالآن يا أحبائى نمجد قيامة ربنا يسوع المسيح . التى بها شرف جنسنا . ووهب لنا راحة أبدية ها هنا . فلنسرع إلى المقبرة بالروح مع بطرس ويوحنا . ولنمسك قدميه مع مريم الطوباوية والدته ومريم الأخرى ، ونسجد له ونقبلهما . ثم نهض سالكين فى طريق عمواس مع لوقا ورفيقه أكلوبا ، لنسمع من فمه القدوس تفاسير الكتب التى قيلت بالروح على آلامه وقيامته .

ثم نعود معهما بسرعة إلى الأحد عشر ونصرخ بإتفاق واحد مع الجميع قائلين حقاً قد قام الرب . فلنذهب إلى الجليل مسرعين غير متهاونين . ونسجد مع الرسل الأطهار الأحد عشر ونسمعه قائلا : « أعطيت كل سلطان فى السماء وعلى الأرض » . وكيف أوعز إليهم قائلا : « امضوا إلى كل الأمم وعمدوهم بإسم الآب والإبن

والروح القدس » . لندخل إليه فى العلية المغلقة الأبواب ، ونشاهد الرب ـ الذى له القوة أن يعبر كل شىء بغير مانع ـ وهو يعطى السلام لخلائقه أئمة كل المسكونة . آباؤنا السادة الأطهار الرسل الأفاضل . ونتأمل كيف وهبهم الروح المحيى بنفخة الحياة .

هذا الذى نزعه من أبينا آدم الجد الأول عند المخالفة . ثم زادهم للوقت سلطاناً أفضل أن يربطوا ويحلوا . ونصرخ إليه مع توما الرسول قائلين : « ربى والهى » لنسمع منه الطوبى المملوءة عزاء قائلا : « طوبى للذين آمنوا ولم يروا » .

نمشى برياضة مع الرسل صيادى السمك والناس معاً إلى بحيرة طبرية وننظر عجائبه بعد قيامته التى أظهرها لهم هناك . وكيف أظهروا أنه هناك علانية . ونصرخ قائلين : لك أيها المسيح إلهنا نمجد ، وبموتك المحيى نبشر ، وبقيامتك المقدسة نعترف . ولمجيئك الثانى ننتظر .

هلم فى وسطنا اليوم يا داود المرتل بقيثارة ذى عشرة أوتار ، لكى نرتل معك فى فرح هذا العيد المجيد .

ولكننا لا نقول بما قلته فى ذاك الزمان « يقوم الرب وتتبدد أعداؤه » لأن هذا يدل على فعل مزمع أن يكون فلم يكمل هذا فى أيامك (١) بل بروح النبوة تكلمت بما هو مزمع . أما الآن فقد كمل لنا ذلك وفرحنا بالخلاص . فلهذا نصرخ قائلين : قد قام الرب وتبددت أعداؤه الذين هم الشياطين المردة واليهود غير المؤمنين الذين بددهم فى آفاق الأرض ومخالفوه عن وجهه يبيدون ويضمحلون كما يضمحل الدخان ومثلما يذوب الشمع بالنار .

ثم نسمع النبى بعين الرجاء قائلا : « قم يارب خلصنى يا إلهى » . وقال « قم ياربى وإلهى بالأمر الذى أوصيت » . وقال على رجاء الخلاص « من أجل شقاء الفقراء وتنهد المساكين أقوم الآن . يقول الرب : أصنع الخلاص علانية » (مز ١١) .

---

(١) يقصد أن هذه نبوة كانت فى أيام داود .

ثم أجاب بعين الايمان والتصديق قائلا « كلام الرب كلام نقى . كمثل فضة مصاغة قد صفيت سبعة أضعاف » (مز ١١) وقال على كمال القيامة كأنه يشاهدها بالعيان . « استيقظ الرب كالنائم وكمثل جبار تمل من الخمر فردّ أعداءه إلى خلف . وجعلهم عاراً إلى الأبد بغير تعاهد » ، وقال « قم يا الله ودن الأرض لأنك وارث جميع الأمم » . أعنى دخول الأمم فى الايمان . قال إشعياء بنبوة على لسان الشعب : « أنت الله ولم نعلم . إله اسرائيل ومخلصه » .

ها قد افتضح المعاندون له ومشوا بالخزى . قال زكريا « سبحى وافرحى يا ابنة صهيون من أجل أنى أجىء وأحل فى وسطك قال الرب . وأمم كثيرة يهربون إلى الرب فى ذلك اليوم ويكونون لى شعباً » وهنا أظهر النبى دخول الأمم فى الإيمان .

إرميا النبى يقول : « هكذا يقول الرب . أروى كل نفس عطشانة . وأشبع كل نفس جوعانه . كذلك استيقظت وأبصرت . النوم قد طاب لى » .

لقد سمى النبى تسليم نفس الرب نوماً . لأنه حى باللاهوت ، وهو مزمع أن يستيقظ سريعاً لأن جسده لا يعاين فساداً ، وقد سماه داود أيضاً نوما ، كما قال : « قام الرب مثل النائم » وقوله فى إرميا : « إن النوم قد طاب لى » .

أما سليمان فإنه أوضح القول فى كتاب الحكمة قائلا : « عند ذلك يقوم البار مدلالا بكثرة قوة أمام وجـــه الذين اضطهدوه وظلموا سعيه ، وإذ رأوه اضطربوا من شدة الخوف ».

ويتحيرون من عجيب خلاصه ويقولون فيما بينهم نادمين متحسرين فى أرواحهم هكذا . كنا نهزأ به فيما مضى وجعلناه نحن الجهال أحدوثه ومثلا للعار . فكيف أحصى الآن مع أبناء الله وحسبه مع الأطهار . لقد ضللنا عن طريق الحق . ولم يظهر نور الصدق . ولم تطلع علينا شمس البر . وانهمكنا فى سبل الآثام والهلاك ، وجرينا فى قفر لا يسلك . لم نهتد إلى طريق الرب . أعنى بهذا ندامة القوم الذين

آمنوا من اليهود خاصة الذين كانوا مجتمعين على صلبه . كما بكتهم بطرس الرسول بإعلان كالمكتوب فى الابركسيس قائلا لمقدميهم :

« هذا هو الحجر الذى رذلتموه أنتم أيها البناءون ، وهو صار رأس الزاوية » .

ثم قال لهم أجمعين :

« الآن يعلم كل بيت إسرائيل أن يسوع هذا الذى أخذتموه . . . وبأيدى أثمة صلبتموه » . ثم ناشدهم بقيامته من بين الأموات وأن نفسه لن تترك فى الجحيم . ولا جسده يعاين فساداً . (أع ٢ : ٢٢) كما كتب عنه فى المزمور :

قال الكتاب فلما سمعوا هذا نخسوا فى قلوبهم . واعتمد منهم فى ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس ، وبعدهم خمسة آلاف . وكانوا مواظبين على تعليم الرسل وكل شىء لهم كان مشتركا .

ثم أن الرسل بقوة عظيمة كانوا يذيعون الشهادة لأجل قيامة ربنا يسوع المسيح، معاضدين بقوة الآيات أمام أعدائهم وليس بسيف ولا سلاح ، ويجب أن نقدم الشهادة منهم خاصة ونختصر فى أقوال الانبياء لأن كرامة العيد الشريف لهم واجبه(١) لأنهم شاهدوا الأشياء عياناً ولمسوها بأيديهم وأكلوا معه وشربوا معه بعد قيامته المقدسة . وكما حزنوا فى آلامه كذلك فرحوا أضعافا فى قيامته وحوّل حزنهم إلى فرح كقول الرب لهم . وكملت لهم الأشياء بأسرها . التى اشتهى الانبياء أن يعاينوها كما قال الرب : « الحق أقول لكم إن أنبياء كثيرين صديقين اشتهوا أن يروا ما رأيتم فلم يروا . ويسمعوا ما سمعتم فلم يسمعوا » .

ثم طوّب أعضاءهم التى تقدست به قائلا : « أما أنتم فطوبى لعيونكم لأنها تنظر ولآذانكم لأنها تسمع » .

وبحق قد استحققتم كل الطوبى والغبطة أيها الرسل الأطهار لأنكم شاهدتم

---

(١) أى يختصر فى النبوات ويهتم بشهادة التلاميذ فى الاناجيل .

جميع أعمال الرب من ابتدائها إلى كمالها . هلموا الآن فى وسطنا أيها الانجيليون القديسون . وما أنتم فى دعوتنا اليوم ، بل نحن فى دعوتكم أيها السادة الرسل الذين دعوا كل الشعوب إلى وليمة السيد ، كما أوعز اليهم بعد قيامته المقدسة .

بكم خاصة تزين العقول اليوم. بكم نتساعد على مدح شرف القيامة الجليلة لأنه ليس فى زمانكم كرزتم بها بل أصواتكم بافية تصرخ إلى الإنقضاء ! !

هوذا أبتدىء أولا من متى. لأنه ذكر وقت القيامة نفسها حين قام الرب بقوله : وكانت زلزلة عظيمة وملاك الرب نزل من السماء ودحرج الحجر عن باب القبر وجلس فوقه » . بين أن الزلزلة كانت وقت قيامة الرب ، وكما أنه عند تسليمه الروح زلزل صوته الارض ، هكذا عند قيامته زلزلها أيضاً ، ليعلن أن الذى مات هو الذى قام ولم يكن بضعف . بل هو القوى قاهر الموت ومالك القيامة الجامعة للكل .

وقام الرب والحجر مختوم على باب القبر ، كما ولد من البتول وهى عذراء كنبوة حزقيال النبى وكمثل دخوله على التلاميذ بالعلية والابواب مغلقة . لأن له هذا الفعل أن يعبر فى الاشياء بغير مانع .

وأما دحرجة الملاك للحجر عن باب القبر فهو ليعلن القيامة جيداً لئلا يبقى مختوما فيظنون أن جسده ما زال فى القبر .

قال : « وكان منظر الملاك كالبرق ولباسه أبيض كالثلج » : أعنى حسن بهاء منظره فى قيامة سيده . قال : « فمن خوفه اضطرب الحراس وصاروا كالاموات» ، وكما كتب فى سفر الخروج : « إن ملاك الرب نزل إلى معسكر المصريين وبنى إسرائيل وكان يلقى ظلاما على فرعون وجنوده ، ويلقى نوراً على موسى وجماعته ، وهكذا فعل الملاك فى القيامة ها هنا ، ألقى خوفا شديداً على الحراس الذين كانوا واثقين بقولهم ، ثم أعطى طمأنينة وقوة للنسوة الضعيفات الخائفات من اليهود ، فأزال منهن الرعب وصير الحراس كالاموات ، لئلا يؤلموا قلوب النسوة القديسات

اللواتى أتين إلى القبر وهن مريم والدة الإله سيدتنا القديسة البتول ومعها مريم التى من تخوم مجدل ، ثم أن الملاك خاطب النسوة برفق قائلا : « أما أنتن فلا تخفن » ، أعنى أنكن لستن مثل هؤلاء المردة . الذين ظنوا أنهم بقوتهم يصدونكن عن الدنو إلى القبر . فقد نزل بهم ما هم أهـــل له ، وأما أنتن فتقوين ، ولقد علمت أنكن تطلبن يسوع المصلوب .

ولم يأنف الملاك ان يبشر بالمصلوب أنه رب الكافة التى ترى والتى لا ترى .

قال : « ليس هو ههنا . لقد قام كما قال لكن » . ذكرهن بقول الرب لهم أجمعين قبل آلامه إنه مزمع أن يصلب ويقوم فى اليوم الثالث ، وأعطاهن بهذا القول علامة قد كانت بينه وبينهن مع الرسل أجمعين ليحملهن على قبول بشراه ، وبعد ذلك أراد أن يؤكد لهن بالعيان ، فقال لهن : « تعالين وانظرن إلى المكان الذى كان فيه الرب » ، أعنى وإن كان قد صلب بالجسد فهو رب المجد لم يزل، وهوذا نحن نكرز قبل رسله بصلبوته وآلامه وقيامته ونعترف به أنه رب الملائكة والناس أجمعين ، كما قد كرزنا فى البشارة والميلاد لأنه حيث يكون الملك السماوى ، هناك يكون خدامه العلويون . وإن النسوة لما بقين مبهوتات متعجبات مما كان . صرفهن الملاك قائلا : «أسرعن واذهبن وقلن لتلاميذه إنه يسبقكم إلى الجليل هناك ترونه . لقد أراد الملاك بذكر الجليل ليعلن أن الرب قد أعلمه بالأشياء التى كانت بينه وبين رسله ، وأذن له أن يبشر الذين هم عتيدون أن يبشروا كل المسكونة ، أعنى الرسل الأطهار .

قال : « فرجعن مسرعات بخوف وفرح عظيم ليخبرن تلاميذه » . أعنى أنهن صدقن قول الملاك بما قد أعطاهن من العلامات .

فآمنّ أن الرب قد قام . وأسرعن بخوف من اليهود لانهم كانوا يرقبون المكان ، ولكن فرحهن تغلب على الخوف من أجل قيامة الرب .

قال : « فلما ذهبن ليخبرن تلاميذه . ظهر لهن يسوع وقال لهن افرحن » . أعنى أن الرب دبر الحال معهن وساسهن بالتدريج أول شىء بالزلزلة وظهور الملاك لهن ، والعلامات التى حققها لهن ، فلما صدقن رجعن ليخبرن تلاميذه . عند ذلك استحققن ظهور الرب لهن الذى هو كمال التحقيق ، قال: «فمسكتا قدميه وسجدتا له» فقال لهن الرب : « لا تخفن اذهبن وقلن لإخوتى أن يذهبوا إلى الجليل هناك يرونى » .

لما كانت والدته حاضرة اختصها بالفرح ليزيل حزن حواء ، واستحقت رفيقتها أن تحضر معها لأنها كانت مهتمة بأمرهما ، ولم تدعها أن تنطلق وحدها ، بل شاركتها فى الحزن والتعب ، فلهذا استحقت الشركة معها فى الفرح ، ولم يمنعها من الدنو منه مع والدته ، ومسكها قدميه وأزال منهن الحزن والخوف أيضا ، ثم أرسلهن ليبشرن رسله القديسين ، وإن والدته التى كانت فى بيت يوحنا الانجيلى يعزيها ، صارت مبشرة له ولأصحابه الرسل ليكمل بذلك مسرتها ! !

وعزى الرسل بالرسالة أيضاً وسماهم اخوته ليتم المكتوب : « إنى أبشر باسمك أخوتى » ثم ذكرهم بالجليل ، ليحقق قوله لهم بتذكرة ثانية .

وهذا مما يستدل به أن القديس متى ذكر القيامة فى وقت قبل باقى الإنجيليين ، لأنه ذكر الزلزلة ونزول الملاك ، وكيف دحرج الحجر عن باب القبر ، وكيف صار الحراس كالأموات من خوف منظره .

وثانى من ذكر القيامة هو القديس يوحنا ، لأنه قال « وجاءت مريم المجدلية غلساً » ، وذكر أنها أتت فوجدت الحجر قد دحرج عن باب القبر ، ولم يذكر أنها وجدت الحراس بالجملة ، لأنهم عندما شاهدوا المنظر المخيف لهم نهضوا بعد جهد ، كما أذن لهم الرب وشاهدوا الحجر قد دحرج عن باب القبر ، ولم يجدوا جسد الرب يسوع فلم يقدروا أن يلبثوا من كثرة الخوف الذى اعتراهم ، بل ذهبوا إلى المدينة وأعلموا رؤساء الكهنة بما كان كما شهد الإنجيلى ، ولهذا لم يرجعوا إلى

إلى القبر ، ولا أرسل رؤساء الكهنة غيرهم ، لأنهم تحققوا أن جسد الرب يسوع ليس هو فى القبر بل قد قام ، ولذلك لما جاء بطرس ويوحنا لم يجدا الحراس ، وهكذا بقية النسوة أيضاً اللواتى أتين إلى القبر إلى حين طلوع الشمس ، وأما كون الرب أبقى الثياب فى المقبرة حيث قام ، فهذا ليعلمنا أن فى القيامة الجامعة لا يحتاج أحد إلى لباس ولا إلى شىء مما يستعمل فى هذا الدهر ، بل يكونون كملائكة الله الذين فى السماء كما شهد الرب .

وثالث من ذكر القيامة القديس لوقا البشير لأنه ذكر مجىء النسوة ثالث دفعة قريباً من الصباح حين بدأ النور يظهر ، عندما نظرن ملائكة شبه أناس بلباس يلمع كالبرق ، ليدل أيضاً على بهائهم فى فرح قيامة سيدهم . وقالوا للنسوة لِمَ تطلبن الحى مع الأموات ؟ ! أعنى أنه وإن كان قد قبل الآلام ومات بالجسد ، فهو يبقى حى بلاهوته ، ثم قالا لقد قام وليس هو ههنا . فاعترفا أولا أنه الحى الدائم باللاهوت ، ثم بشرا بعد ذلك بقيامته من بين الأموات بالناسوت لأنه إله متأنس وله الفعلان ، وذكراهن بقول الرب الذى تقدم فأخبر بآلامه وقيامته فآمنّ بذلك وصدقن لأن النسوة اللواتى تبعن الرب من الجليل ومن تخوم مجدل مع اللواتى كن يخدمنه بأموالهن ، كن نسوة تقيات قديسات ، فلم يأنف الرب أن يتبعنه لأنه يخلص كل البرية ، وأنه لا فرق بين الرجل والإمرأة فى الرب ، وأن الله إنما يشاء أن تكون نفوسنا نقية لكل منا رجلا كان أو إمرأة ، هذا الذى شاء وتجسد من سيدتنا القديسة الطوباوية البتول مريم لعظم طهارتها .

وإن النسوة لشدة محبتهن فى الرب ، ورغبتهن فى خلاص نفوسهن كن يتبعنه إلى حين الصلبوت ، ولم يخفن ، بل ثبتن عند صليبه كما شهد لهن الانجيل بذلك ، وشاهدن كل شىء كان إلى حين أسلم الرب الروح ، وتكفين الجسد ، ووضعه فى القبر ، ما خلا والدته فإنه سلمها ليوحنا الإنجيلى ، وهؤلاء النسوة تعبن جداً ، وتألمن لأجله ، وكن يبكين ويندبنه .

ولما كان المساء تفرقن كل منهن عند معارفهن . فمنهم من كن مجتمعات بعضهن مع بعض ، ومنهن من كن منفردات .

ومن كثرة اجتهادهن بكرن آتيات إلى القبر كل منهن من الموضع الذى كانت فيه ، وكان مجيئهن فى أوقات مختلفة أيضاً عن الملائكة الذين بشروهن ، واستحققن العزاء لأجل كثرة حزنهن ومحبتهن للرب ، وأمانتهن الحقة به ، وليبكت بهن الرجال غير المؤمنين .

ورابع من ذكر مجىء النسوة إلى القبر مرقس . لأنه قال : « إنهن أتين حيث طلعت الشمس » (مر ١٦ : ٢) ، والدليل على أنهن غير النسوة الأوائل قولهن « من يدحرج لنا الحجر عن باب القبر » فلو كن السابقات وأتين دفعة أخرى ، لما قلن شيئاً من هذا .

وإن قلت ولكن مرقس قد ذكر مريم المجدلية مع جملة النسوة ! !

قلت لك إنها غير التى ذكرها يوحنا ، لأن الكل من تخوم مجدل بلا شك ، ومرقس نفسه فى الفصل الذى يلى هذا يذكر التى ذكرها يوحنا لأنه جمع كل ماذكره الإنجيليون الثلاثة الآخرون فى حال القيامة فى هذا الفصل بتلخيص إذ يقول : وقام باكراً أحد السبوت(١) ، وما أحسن ماقاله لأنه اختص بهذا اللفظ دون بقية الإنجيليين، فإنهم وإن كانوا قد ذكروا القيامة لكنهم لم يعينوا الوقت الذى قام فيه الرب مثل مرقس، وإن كان متى قد ذكر الزلزلة لكنه لم يعين وقت القيامة . فمرقس وحده قال : « وقام باكراً أحد السبوت » فأبان جيداً أن الرب قام باكراً يوم الأحد .

قال : « وظهر أولا لمريم المجدلية التى أخرج منها سبعة شياطين » وبهذا أفردها مرقس هنا وحقق أنها لم تكن من جملة أولئك النسوة اللائى أتين حيث طلعت

---

(١) جاء هذا النص فى بعض القراءات « وقام باكراً فى أول الاسبوع » أو فى اليوم الاول من السبوت » (مر ١٦ : ٩) ومعناه أن قيامة يسوع كانت يوم الاحد باكراً .

الشمس . لأن الرب أذن للإنجيليين أن يذكروا هذه الألفاظ حتى يؤكدوا القيامة جيداً بشهادات شتى ! !

ثم ذكر بعد هذا كيف ظهر لإثنين آخرين من تلاميذه فى الحقل أعنى اللذين ذكرهما لوقا فى طريق عمواس ، ثم ذكر كيف اجتمع بالأحد عشر وكيف أوصاهم أن يبشروا كل الأمم ويعمدوهم . وهذا ما ذكره متى حيث ظهر لهم وأوصاهم أن يعمدوهم باسم الاب والابن والروح القدس فى العالم أجمع .

أما لوقا ويوحنا فقد ذكرا ظهور الرب لتلاميذه عشية يوم القيامة ، وأراهم يديه ورجليه وجنبه وأكل معهم ، وإن كان بعد القيامة العامة للكل لا يكون أكل ولا شرب ولا إذا كان لأحد فى جسده جرح يقوم بجراحه ولا إذا كان بعين واحدة أو أعرج أو ماشابه ذلك يقوم بشىء من تلك العاهات الجسدية وإلا فأين يكون عدم الفساد ؟ ولكن الرب صنع هذا (١) ليحقق لنا أجمعين أن الجسد الذى تألم ومات هو الذى انبعث من بين الأموات .

ولما ظنوا أنه روح عند دخوله العلية والأبواب مغلقة ، أذن لهم أن يجسوه كما قال : « إن الروح ليس له عظم ولا لحم كما ترون لى » وكما أثبت لاهوته بفعل الآيات اللائقة به كذلك أثبت ناسوته أيضاً بفعل هذه الأشياء وما يماثلها ، فاظهر آلامه بعد قيامته ليزيل علة من يروم العلل ! !

أما متى فإنه اختص بذكر لفظ عجيب يجب أن نذكره وهو قوله « وفى عشية السبوت باكر أحد السبوت جاءت مريم »(٢) ومعلوم أن تلك الأيام السبعة تسمى سبوتاً كما أنها عندنا نحن آحاداً ، وقوله : وفى عشية السبوت جاءت مريم » وذلك أن النسوة كففن فى السبت كما فى الوصية ، أعنى أنهن لم يتصرفن فى شىء

---

(١) أى أن الرب قام وأماكن جراحاته ظاهرة .

(٢) وهذا نفس النص الذى جاء فى مت ٢٨ : ١ طبعة الاكليريكية .

ولا وصلن إلى القبر لئلا يكون عليهن حجة من اليهود فلما كانت عشية السبوت جاز أن يتصرفن كما فى الوصية .

خرجت السيدة مريم من أجل حنو الطبيعة لتنظر القبر لكونها لم تمكث عند الصليب حتى ترى النهاية ، وخرجت معها رفيقتها التى ذكرها يوحنا أنها كانت واقفة معها عند الصليب فنظرت القبر مختوماً والحراس جلوساً فرجعن معاً إلى مكانهن ثم عدن باكراً جداً وهو وقت الزلزلة لأن السيدة كانت متذكرة قول الرب إنه يقوم فى اليوم الثالث . فلم تصبر لشدة ما فى قلبها !! ولم ترهب من اليهود ولا من الحراس أيضا لقوة إيمانها بالرب ، وأنه لا ينالها مكروه ، ومضت معها أيضا رفيقتها إلى القبر . فلهذا ذكر الانجيل الحوادث على تعاقبها أولا فأول ، لأنه ذكر عشية يوم الجمعة وقت أخذ يوسف الجسد ، وباكر يوم السبت حيث ختموا القبر . فذكر عشية السبت حيث خرجت السيدة تنظر القبر . ثم باكراً يوم الأحد حيث عادت إلى القبر ثانية . لأنها عادت دفعتين ، عشية نظرت ، ثم أتت باكراً وقت القيامة . فأوجب متى الدفعتين سياقاً واحداً قائلا : « وفى عشية السبوت باكر أحد السبوت . جاءت مريم . . . الخ » .

أما يوحنا فتميز بأن ذكر دخول الرب على التلاميذ والأبواب مغلقة فى الأحد الثانى للقيامة الذى هو ثامن العيد الذى يسمى أحد الحدود أو الأحد الجديد ، وأذن لتوما الرسول أن يجسه بعد أن أراه أثر المسامير وطعنة الحربة . ولم يكن هذا تحقيراً بتوما لأنه يعرف قصده الجميل بل ليكون رسولا محققاً يبشر بما رآه عيانا وأن توما صرخ بقوة إيمان قائلا « ربى وإلهى . قال له الرب لما رأيتنى يا توما آمنت طوبى للذين آمنوا ولم يروا » أراد بهذا كل الشعوب الذين يقبلون الايمان باسمه ، وذكر يوحنا أيضا ظهور الرب لهم على بحيرة طبرية . ووصيته لبطرس أن يهتم جيداً بكل الرعية ، وكان يظهر لهم إلى كمال الأربعين يوما بعد القيامة ، كما شهد كتاب الابركسيس . وكان يخفى ذاته عنهم بقوة لاهوته حيا . حتى يقوى اشتياقهم إليه

ويشتهوه . ثم يظهر لهم حينا كما يشاء لكى يتملوا بكلامه معهم ويحفظوه . ولعل قائلا يقول : كيف ظهر الرب لوالدته أولا ، وها مرقس يقول إنه ظهر أولا لمريم المجدلية التى أخرج منها سبعة شياطين وكيف يقول بولس الرسول إنه ظهر لبطرس الرسول أولا ؟ ! !

فإن أراد السائل أن يعرف هذا جيداً يقال له : إن الرسل هم مبشرون وشهود له عند الجميع من اليهود والشعوب فأراد مرقس أن لا يأخذ شهادة الاقرباء فى الجنس فى حال القيامة ، بل الغرباء كما يكون بين الناس فذكر أولا مريم المجدلية ثم مريم أم يعقوب وسالومه .

أما بولس فأخذ على جارى عادة الناموس لأنهم لم يروا شهادة النسوة بل الرجال فذكر بطرس أولا الذى كان مناشداً ومبشراً أمامهم بقوة وإعلان معضداً بفعل الآيات والعجائب التى أجراها الله على يديه لأن الرب ظهر أولا لوالدته دون كافة البشر التى هى بالحقيقة تجل عن الكل وهى بدء كل الأفراح وأول المسرات .. ثم أول من ظهر له من الغرباء مريم المجدلية لأجل محبتها للرب . وأول من ظهر له من الرجال بطرس الرسول ، ونحن نجد لوقا موافقا لبولس فى هذا حين ذكر الرسل وهم مجتمعون قائلين حقا قد قام الرب وظهر لبطرس . فأخذ بولس الشهادة من الرجال لأنهم الذين كانوا شهوداً لقيامته عند كل الشعوب ، ولهذا لم ير بولس ذكر النسوة إطلاقا فى حال القيامة لا قبل ولا بعد . لأنه كتب الرسائل على نوع البشرى . ولم ير ذكر النسوة ، والإنجيليون ذكروا الأشياء الأول فالأول فى حال التدبير ، فلهذا ذكروا النسوة . قال بولس(١) وظهر بعده للرسل الإثنى عشر أعنى أن بطرس أيضا كان حاضراً معهم . قال ومن بعد هؤلاء ظهر لأكثر من خمسمائة أخ معا . أعنى السبعين ومحفل التلاميذ الذين كانوا يتبعونه استحقوا أيضا نظره . قال وبعد هؤلاء

---

(١) ١ كو ١٥ : ٥ ـ الخ

ظهر ليعقوب ثم لبقية الرسل . أعنى كل الذين يلوذون بهم لأنهم كانوا موافقين الرسل فى محبة الله والإيمان به . فلهذا استحقوا مشاهدته فأظهر الرسول أنهم كانوا جماعة كثيرة كما كتب أن الرب مين سبعين آخرين أعنى أنه ميزهم من الجماعة كما مين الاثنى عشر أيضا . قال وفى آخر الكل ظهر لى أنا الحقير أعنى بعد التلاميذ وأنه لم يبشر باطلا بل قد استعلن له الرب مثل كافة رسله ، وجعله مبشراً للإيمان باسمه فى كل الشعوب ، وقد أردت أن أطنب فى الأقوال التى وضعها بولس الرسول فى رسائله لأجل القيامة ، وكيف مدحها وشرفها وأجل كرامتها جداً ، وأن بها الحياة الأبدية وأن بآدم ملك الموت وبقيامه المسيح ملكت الحياة ، وأن بها صار الرجاء فى القيامة من بين الأموات لنا جميعا ، كما أن بآدم صار حكم الموت فخشيت أن يطول الشرح ويمل القارىء والسامع معاً وعلمت أن هذا بأسره لا يبلغ شرف مدح قيامة ربنا يسوع المسيح من بين الأموات . هذه التى بها استراح من جميع أعماله التى على الأرض فأراح البرية التى كانت والتى ستكون وقدس هذا اليوم وباركه لأنه بكر كل الأيام كما هو مكتوب . إن كل بكر يكون قدس للرب من الناس والبهائم والدواب . فكم بالأحرى يكون تقديس يوم الأحد الذى هو بكر جميع ما خلق الله على الأرض لأن فيه خلق الله الأشياء كلها ثم وزعها فى بقية الأيام الأخر شيئاً شيئاً . كذلك فيه أيضا قام البكر فى الانبعاث من بين الأموات .

لقد كتب فى سفر الخليقة أن الله استراح فى اليوم السابع ، ومعـــلوم أن الله لم يعمل شيئا بآلة ولا كد ولا تعب حتى يستريح لأنه قال فكان وأمر فخلقت كما هو مكتوب . وإن كان فى الخلقة تعب فإن الله لم يكن خالقاً إلى الأبد . يأتى بالأمطار فى أوقاتها . فى السبوت وغيرها يهتم بخليقته ويهبط الندى لنمو الأثمار ويخرج الريح بأمره على وجه الأرض ويعطى غذاء لكل ذى جسد ومن ظن أن العالم يتدبر منه وبه بعد الخلقة فهو يجدف لأن النبى يقول : « أعين الكل إياك تترجى لتعطيهم طعامهم فى حينه (مزمور ١٤٥ : ١٥) والرب يقول : « الذى يشرق شمسه على الأخيار والأشرار ويمطر على الصديقين والظالمين » وأما يوم السبت فهو كمال الأسبوع ذكر

فيه اسم الراحة أعنى الراحة المستأنفة فى كمال العالم لمن يستحقها بالمسيح خاصة . وأما الرب فإنه تجسد بحق وتألم وقام فى هذا اليوم المقدس الذى هو بكر الأيام . هذا الذى جعله الرب خاصا له الذى هو البكر فى الأنبعاث من بين الأموات . وباركه وقدسه لأن فيه استراح من كل أعماله التى ابتدأ أن يعمل على الأرض وأراح الخليقة كلها التى كانت أولا ، خلصهم من الجحيم والذين يأتون يخلصهم بالإيمان ويجعلهم أفضل من الأولين فيجب علينا حفظ هذا اليوم ونكون فيه متفرغين للقراءة والصلاة ودرس نواميس الرب كما أمرنا الرسل الأطهار قائلين إن الله أعطانا الأحد عوضاً عن السبت فيجب أن نحفظه أشد تحفظا من السبت لأن فيه الراحة الكاملة التى لا يلحقها تعب ولنكن متحرزين مستيقظين فى هذه الليلة كما تأمرنا قوانين البيعة قائلة هكذا « ليلة قيامة ربنا فلنكن باحتراز عظيم حتى لا ينام فيها أحد ثم تغسلون أجسادكم بماء قبل الصبح » لأن فى هذه الساعة جعل المخلص كل البرية أحراراً ، عبيده السمائيين والأرضيين . لأنه قام من بين الأموات وصعد إلى السموات وجلس عن يمين الآب ، وأيضا يأتى فى مجده وملائكته معه ، ويجازى كل أحد كنحو أعماله . الذين صنعوا الخير إلى قيامة الحياة الأبدية والذين صنعوا الشر إلى قيامة الدينونة كما هو مكتوب . وأيضا فى كتاب الدسقولية تعليم الرسل الأطهار هكذا « إن الرب قام من بين الأموات ، فاصعدوا أنتم أيضا قرابينكم التى أمر بها على أيدينا قائلا هكذا اصنعوا لذكرى . ثم حلوا صومكم وأنتم مسرورون بأن الرب يسوع قد قام من بين الأموات ، وصار أربون قيامتنا وهذا يكون لكم ناموسا أبديا إلى اتيان الرب » .

فيجب يا أحبائى أن نتخذ هذا العيد فصحاً ، ليس بخمير الشر والمرارة بل بخمير النقاء والطهارة لأننا بهذه القيامة المقدسة مزمعون أن نولد من الأرض ميلاداً جديداً بقيامة لا تبلى . كما يقول معلمنا بطرس : تبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذى بكثرة رحمته ولدنا ثانية لرجاء الحياة بقيامة ربنا يسوع المسيح من بين الأموات لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ لكم فى السموات » (١ بط ١ : ٢) والرسول بولس يقول « كما انبعث يسوع من بين الأموات بمجد أبيه هكذا نبعث

نحن أيضاً بحياة جديدة »[1] لأنه لأجل هذه القيامة الفاضلة كل الرسل والأنبياء والشهداء والقديسين لها مترجين ، ولأجلها حفظوا الوصايا وبسببها رفضوا كرامة هذا العالم . أنظروا إلى اجتهاد الرجل الكامل فى الله الرسول الإلهى بولس وكيف يقول : « ليس لى بر نفسى الذى اكتسبته من التوراة . بل البر الذى استفدته من الايمان بالمسيح وهو البر الذى من الله ، وبه أعرف يسوع وقوة قيامته وأشارك أوجاعه وأتشبه بموته عسى استطيع بلوغ الانبعاث من بين الأموات » انظروا لهذا الرسول الفاضل لما عرف قوة قيامة الرب أنها تنجى من الفساد لمن يحفظها كيف جاهد لأجلها وبين أنها بر الكمال الذى يولد من الايمان بالمسيح . فلنهتم نحن الضعفاء حتى يميت منا الآن الشهوة البهيمية لكى تشرق فينا العفة الملائكية . نقتل أعضاءنا التى على الأرض التى سوف تضمحل فى التراب لكى نقـــوم بحياة مضيئة وتكمل فينا كلمة الرسول الفاضل القائل : « لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته نصير أيضاً بقيامته » (رو ٦ : ٥).

نصالح بعضنا بعضا بقبلة أخوية لكى نستحق السلام الذى أعطاه الرب لرسله عند قيامته من الأموات ، ويملأنا من روح قدسه . اذكروا تعب صومكم الذى مضى فلا ترتضوا لأنفسكم بالسقوط فى الآثام . وتدنسوا نفوسكم وأجسادكم معاً بل يجب أن نسر ونفرح بقيامة سيدنا التى بها ننال الحياة الأبدية . فإذا كانت لنا محبة فى التشبه به فلنحفظ أنفسنا بلا خطية حسب قوتنا . لأن المآكل لا تبعدنا من الله لأن كل شىء طاهر للأطهار فى نوع الطعام إذا أخذت منه الحاجة بكفاف وكان العقل محفوظاً من التناول خلافاً للوصية .

خمسون يوماً وهبها لنا ربنا ليكون فيها تذكار قيامته الشريفة وإن لم يوجب علينا فيها نسكا جسدياً . بل يجب فيها حفظ العقل الروحانى لأن أعيادنا روحانية لا يهودية جسدانية ليسر بنا الذى قام من بين الأموات ويجعل لنا حظاً فى القيامة

---

(١) رو ٦ : ٤

لمستأنفة التى لا ينالها موت ولا وصب ولا بلوى ويصيرنا بنى الملكوت وبنى القيامة كما وعدنا فغسل أجسادنا بالماء أما نفوسنا فغسلها بأعمال الفضيلة .

نضىء بيوتنا بالمصابيح فأما مخادع قلوبنا فتضىء بالنقاوة كما سلم إلينا قائلا : « احترس أن يكون النور الذى فيك ظلاماً » (لو ١١ : ٣٥) ثم قال إذا كان جسدك نيراً ولم يكن فيه جزء مظلم أعنى بالجزء الأعضاء أن لا تكون فى ظلمة رديئة قال فإنه يكون نيراً كله كما أن السراج ينير لك بلمع ضيائه .

نقيم العقل حياً من الأعمال الميته لكى نبلغ القيامة مع الذى انبعث من بين الاموات .

نشرك إخوتنا المقلين المساكين فى مائدتنا الخصبة التى لهذا العيد ، لكى يشركنا المسيح فى الدعوة السماوية . ولتعلم أن الذى بيدك ليس هو لك ، بل هو عطية من الله وبرحمته يجازيك بالاحسان متى صنعت خيراً مع شريكك فى العبودية كما هو مكتوب اعط الله من الذى له وهو يحسب لك ذلك قرضاً محفوظاً عنده .

ونحن نسأل ربنا يسوع المسيح الذى قام من بين الأموات أن يقيم هممنا الساقطة إلى الاهتمام بما يرضيه ويسامحنا عما سلف من خطايانا ويصفح عن زلاتنا ، ويعضدنا على حفظ وصاياه مدة ما بقى من حياتنا ، وينيح نفوس أمواتنا الذين رقدوا على رجاء الايمان باسمه القدوس بشفاعة سيدتنا الطوباوية البتول والدة الخلاص القديسة مريم وبشفاعة الرسل الأطهار والشهداء والقديسين الأبرار ، وكل من أرضى الرب بأعماله الصالحة آمين .

✝

بسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد آمين

ميمر الصعود المجيد

للأب المكرم القس بولس البوشى

صلاته وبركاته تشملنا إلى النفس الأخير آمين

يا من صعد إلى السماء جسدانيا وهو يملأ الكل بلاهوته ، أيها المسيح إلهنا ، اصعد هممنا من تنازل الأرضيات إلى اشتياق السمائيات .

يا من شرف جنس البشر بارتفاع الجسد المأخود منهم إلى حيث مجد لاهوته الأزلى ، أيها السيد ، ارفع عقولنا من رذائل هذا العالم إلى ارتقاء ذلك الدهر المستأنف .

يا من عظم الإنسان الترابى وجعله أهلا أن يصير سمائياً ، اقبلنا إليك أيها الرب الإله الذى يعلو الكل وهو فوق كل رئاسة وسلطان ، وهب لى أنا أيها القدوس قولا لأتكلم على كرامة صعودك إلى الذى لم تزل فيه أزلياً .

يا من وهب للأرضيين أن يبلغوا رتبة السمائيين أعطنى نطقاً ، ياعمانوئيل إلهنا ، الذى أعطى قوة للجسدانيين أن يصيروا روحانيين لأنطق على جلال ارتفاعك العجيب بالجسد إلى السموات التى أنت فيها باللاهوت لم تزل .

امنحنى معرفة يا من وهب فضلا وخلاصاً وارتفاعاً لجنسنا الذى كان ساقطاً فى هاوية الهلاك وصيره فوق فى ملكوت السماء الباقية ، لأخبر بحسن بهائك وأنت صاعد إلى علو سمائك ، وأرسل مع داود المرنم وأقول « صعد الله بتهليل الرب .

بصوت القرن رتلوا لإلهنا رتلوا لملكنا رتلوا . لأن الرب هو ملك الأرض كلها . رتلوا بفهم بإن الرب هو ملك على كل الشعوب . جلس الله على كرسى مجـــده » (مزمور ٤٦) .

أعلن معه أيضاً بدخولك فى أبواب المجد الدهرية وأقول « ارفعوا أيها الرؤساء أبوابكم . ارتفعى أيتها الأبواب الدهرية ليدخل ملك المجد . من هو ملك المجد ؟ رب القوات هذا هو ملك المجد » (مزمور ٢٣) .

وأخبر معه أيضاً بالسبى الذى اقتلعه من يد الشيطان بصعود الجسد الذى اتحدت به وافضت مواهبك على البشر وأقول « صعد إلى العلا وسبى سبياً وأعطى الناس عطايا » (أف ٤ : ٨) ونسجد لك ونسبح جميعاً معه قائلين يا جميع ملوك الأرض سبحوا الله . رتلوا للرب الذى صعد إلى سماء السماء فى المشارق ، ويرسل لك أيضا معه تسبيحا جديداً لأن الأشياء العتيقة قد زالت ، وكل شىء قد تجدد بك أيها المسيح الرب الذى جدد الخليقة بقيامته وأعلى رتبتها بصعوده ونقول جميعا قائلين بإتفاق واحد « سبحوا الرب تسبيحا جديداً . سبحوا الرب ياجميع الأرض باركوا اسمه . بشروا يوما فيوما بخلاصه ، حدثوا فى الأمم أن الرب قد ملك » (مز ٩٦ : ١ ، ٢) أعنى غلب الشيطان ، وأن الجسد قد ظفر بالملك الأبدى كما قال لرسله بعد قيامته . أعطيت كل سلطان فى السماء وعلى الأرض وإن كان السلطان له لم يزل ، إنما أعنى الجسد الذى أعطى كرامة وسلطانا باتحاده باللاهوت وإقامته من بين الأموات ، وهكذا نفهم نوع الصعود والجلسة والملك كقول داود « الرب قد ملك فلتبتهج الأرض سحاب وضباب حوله . بالعدل والحق اتقن كرسيه » (مز ٩٧ : ١) هذا هو الملك الذى عناه جبرائيل الملاك للسيدة مريم البتول قائلا : « ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه انقضاء » وداود أيضا يقول « قال الرب لربى إجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك تحت موطىء قدميك عصا قوة يرسل لك من صهيون وتملك فى وسط أعدائك إلى الأبد » (مز ١١٠ : ١) وهذا

الموضع فسره الرب فى الإنجيل وهكذا اسمه القدوس قد ملك فى وسط أعدائه . وليس إلى وقت ينقضى بل إلى الأبد بلا انقضاء ، وعنى بأعدائه الشياطين المرده واليهود الكفرة والذين لم يذعنوا للايمان باسمه كما قال « فاعدائى الذين لم يشاءوا أن أملك عليهم فآتونى بهم واذبحوهم قدامى » (لو ١٩ : ٢٧) أعنى انتقاما منهم فى استعلانه الثانى . وبحق أيها الأخوة الأحباء إن كرامة هذا العيد الشريف أعنى عيد صعود ربنا يسوع المسيح إلى السماء جليلة جداً لأن فيه كمال التدبير بالتجسد العجيب .

اليوم صعد الرب إلى السموات بالجسد وهو فيها باللاهوت لم يزل ، وإنما ذكر نزوله أى أنه تجسد وذكر صعوده أى أنه صعد بالجسد الذى اتحد به إلى فوق كل رئاسة وسلطان .

اليوم صعد الرب إلى سماء السموات وخضعت له الملائكة والرؤساء والقوات .

اليوم صار الذى كان تحت الكل ساقطا فى التراب والبلاء على الأرض ، فوق الكل فى سما السموات . ولما نظر البشر إلى الجسد الذى كان ساقطاً فى الهاوية أنه قد علا إلى سماء السموات فوق كل ما يرى وما لا يرى علموا أن الهلاك قد مضى ، والغضب قد ذهب وانقضى ، ومجد حرية البنوة قد استنار بربنا يسوع المسيح لأنه كيف تستطيع الأرض الصعود إلى السماء لو لم يتحد بها رب السماء بالتجسد العجيب « وصعد إلى حيث مجده غير المدرك . وكيف يقدر الجسدانيون أن يصيروا روحانيين لو لم يتجسد منهم رب الأرواح وإله كل جسد ويصلح كل شىء كما يليق به . كيف يقدر المسجونون تحت حكم الموت والفناء أن يبلغوا رتبة الذين لم يوجب عليهم حكم الموت أعنى الملائكة لو لم تخالط طبيعتهم ذاك البار غالب الموت ويصعدها فوق الكل. فكل شىء خضع تحت قدميه .

لم تصر لنا النعمة بمقدار الزلة ، بل عظمت نعمة ربنا يسوع المسيح وفاقت

كل زلة وهفوة وبلغت فى العلو حتى نفذت إلى سماء السموات فوق كل الملائكة والرؤساء والقوات .

اليشع النبى يعلمنا سر صعوده وذلك أنه مكتوب فى أسفار الملوك إن بنى الأنبياء أتوا إلى اليشع النبى وسكنوا عنده فقال لهم يا إخوة ليس فى المكان سعة لنا جميعاً فاقطعوا لكم خشباً من على شاطىء نهر الاردن واصنعوا لكم محلا تأوون إليه .

ولم يكن عندهم سوى فأس واحدة فأخذوها ومضوا يقطعون بها فانقلعت العصاة من الفأس وسقط الحديد فى نهر الأردن وكان الموضع مهبط مياه قوى التيار جداً . فأتوا وأعلموا اليشع النبى بذلك فأخذ عصاة جديدة غير تلك الأولى وأتى إلى الموضع الذى سقطت فيه الفأس وألقى العود الجديد فى النهر فطفا الحديد فمد النبى يده وأخذ الفأس ، وكان هذا مثالا بروح النبوة على البشرية التى سقطت فى بحر العالم ورسبت مثل حديد ثقيل ولم تقدر أن تصعد فتحنن الرب السماوى وأتحد بجسد طاهر لم يعتق بالخطية بل أخذه من البتول مريم بغير زرع بشر ثم أصعده بغير مانع كما يليق به وأعطى لجنسنا القوة على الصعود إلى حيث مجده كما يقول الرسول « نتمسك بالرجاء الموضوع أمامنا الذى هو لنا كمرساة للنفس مؤتمنة وثابتة تدخل إلى ما داخل الحجاب حيث دخل يسوع كسابق لأجلنا صائراً على رتبة ملكى صادق رئيس كهنة إلى الأبد » (عب ٦ : ١٨) وقال أيضاً فلنقترب الآن إلى كرسى نعمته لنظفر بالرحمة ونستفيد النعمة ليكون لنا ذلك عوناً فى زمان الضيق .

يعقوب اسرائيل سبق فابصر كيفية صعود الرب حيث أبصر سلما مرتفعا من الأرض إلى السماء وملائكة الله نازلين وصاعدين عليه والرب فوق أعلى السلم . يدل هذا على تدبير الرب الذى أكمله بالتجسد البشرى وارتقى من واحدة إلى أخرى كنوع السلم حين التجسد إلى حين الصعود والملائكة خادمون له فى ذلك بأسره من حين البشارة إلى حين القيامة والصعود .

هلم فى وسطنا اليوم أيها الإنجيلى القديس لوقا لنأخذ منك سياق القول على صعود

الرب وكيف كتبت الانجيل بتأييد الروح من ابتداء التجسد وأكملته بالصعود ثم ابتدأت أيضا بالصعود فى كتاب الإبركسيس وجعلته فاتحة القول ثم ذكرت كيف كان كمال الانجيل وجمعت الإثنين فى حال الصعود وقلت « الكلام الاول أنشأته ياثاوفيلا » أعنى الإنجيل المقدس . قال « عن جميع ما ابتدأ يسوع يفعله ويعلم به » (لو ١ : ١) أعنى سياسة تدبير الرب وأنه عمل أولا وعلمنا أن نتبع أثره ، ولكيما يظهر بهذا أن كل ما عمله إنما كان لأجل تأديبنا وتعليمنا وليس حاجة به إلى ذلك . أعطانا بهذا مثالا أن نعمل ونعلم قال « حتى اليوم الذى صعد فيه » أى أن للصعود الكريم هو كمال بشرى الإنجيل وفيه انتهى القول فى نوع تدبير الله قال « بعدما أوصى رسله الذين أصطفاهم بروح قدسه » أعنى الوصية التى ذكرها فى الإنجيل . قال « أولئك الذين أراهم نفسه أنه حى » أعنى القيامة المقدسة التى هى عربون قيامتنا . قال « بعد ما تألم بآيات كثيرة » أعنى بالآيات شهادات الأنبياء التى تقدمت لأجله تظهر كيفية علامات آلامه المحيية مع الآيات التى كانت وقت الصلبوت علانية من تغير وجه السماء والأرض واضطراب العناصر . قال : « فى أربعين يوما كان يتراءى لهم ويتكلم عن الأمور المختصة بملكوت الله » أعنى أنه مكث أربعين يوما بعد القيامة المقدسة يظهر لهم حيناً بعد حين . فحيناً يظهر لهم ليفرح قلوبهم بمشاهدته ، وحيناً يختفى بقوة لاهوته عنهم لكى يشتاقوا إليه ويحفظوا ما أوصاهم به ويتذاكروه فيما بينهم ، وقوله : يتكلم على ملكوت الله . أعنى كل تعاليمه لأجل ملكوت السموات التى هو صاعد إليها بالجسد وهو اللاهوت حال فيها . قال « وفيما هو مجتمع معهم أوصاهم أن لا يبرحوا أورشليم » وهذه الوصية قد تقدم ذكرها فى الإنجيل وهى وصيته لهم أن لا يبرحوا أورشليم حتى يتذرعوا القوة من العلاء ، وههنا أيضا بناء على ذلك قال « بل ينتظرون موعد الآب » .

قد تقدم ووعدهم بأن يرسل إليهم موهبة الروح ، وهو والآب واحد فى العقل والقوة ، ولهذا قال « موعد الآب » لكى يثبت لهم وحدانية اللاهوت بغير تجزىء ولا افتراق قال « ذلك الذى سمعتموه منى » أعنى أن منه سمعوا ذلك وهو والآب

واحد كما قال لليهود وأيضا قال لفيلبس من رآنى فقد رأى الآب ، قال « يوحنا عمد بالماء وأنتم تعمدون بالروح القدس » ذكر ههنا شرف المعمودية التى هم مزمعون أن يقبلوها بحلول الروح القدس عليهم عندما تعطيهم موهبة الكمال ، وأن يوحنا شرف بالعماد لكن بالماء وأنتم تعمدون بعماد الروح ثم تكونون أئمة لكل المسكونة فى الميلاد من فوق . قال « ليس بعد أيام كثيرة » أعنى كمال الخمسين فلما سألوه عن ملك بنى اسرائيل الجسدانى نزع هذا التشاغل العالمى من عقولهم ثم عرفهم أن الروح إذا أقبل عليهم يملأهم معرفة ويعلمون كل شىء ، وليس هذا فقط بل ويقبلون قوة فاضلة حتى يكونوا له شهوداً ليس فى مكان واحد ، بل قال فى أورشليم واليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض .

فلما أكمل لهم هذه الأشياء بأسرها وثبتهم على انتظار الموعد الذى يهبط عليهم من السماء ويكون لهم مرشداً ومعزيا ومعلما ، حينئذ باركهم الرب الإله معدن كل البركات ، وصعد إلى السماء أمام أعينهم وهم ينظرون إليه ثم قبلته سحابة ليتم المكتوب « استوى على السحاب ومشى على أجنحة الرياح » (مز ١٠٤ : ٣) أعنى أن الجو غير المحسوس والرياح غير المضبوطة صعد فيها بقوة لاهوته من غير مانع وكأن لها أجنحة خادمة لباريها وأيضا مكتوب « سحاب وضباب حوله . بالعدل والحق اتقن كرسيه » (مز ٩٧ : ٢) . ومكتوب « ركب على الكاروبيم وطار ، طار على أجنحة الرياح » (مز ١٨ : ١٠) .

ذكر أولا ركوبه على الكاروبيم ثم ذكر طيرانه على أجنحة الرياح ليعلن قوة لاهوته وأنه غير محتاج إلى شىء من البرايا بل هو أصعد الجسد المتحد به بقوة إلى أعلى المراتب الروحانية فوق كل القوات العقلية ، ولما شاهدوا خضعوا جميعا ـ الملائكة والرؤساء والقوات ـ أعنى كافة الروحانيين الذين فوق السموات . أما الرسل فبقوا قياما متفرسين نحوه وهو صاعد وهم متعجبون .

وفيما هو كذلك إذ وقف بهم رجلان بلباس أبيض لامع أعنى أن ملاكين ظهرا

لهم بشبه البشر لكى يقدروا على مخاطبتهم ولكى يعلمونا أن السمائيين قد صاروا واحداً مع الأرضيين بالرب الذى أصعد الجسد المتحد به إلى السماء. لأن لوقا جرت عادته فى ذكر الملائكة ، أنها تظهر بشبه الناس كما ذكر فى الإنجيل عن الملاكين اللذين بشروا النسوة بهذا المثال بعينه ، فقالا « أيها الرجال الجليليون » يعنى أن الرسل من الجليل . قالا « لماذا أنتم قيام متفرسون فى السماء » أعنى أن صعود الرب إلى السماء ليس أمراً غريبا ، ثم قالا « إن يسوع الذى صعد عنكم إلى السماء ، هكذا يأتى كما رأيتموه صاعداً إلى السماء » عنيا بيسوع المخلص لأنه سمى بهذا الاسم لأجل التجسد فأعلنا لهم كرامة صعوده ثم أثبتا مجيئه فى استعلانه الثانى من السماء التى صعد إليها لأنهم مزمعون أن يأتوا معه كما قال الرب « إنه يأتى فى مجده مع ملائكته القديسين ثم أن الرسل الإطهار رجعوا إلى أورشليم مسرورين بما شاهدوا من المجد والكرامة لأجل الموعد الإلهى ـ فلما دخلوا إلى العلية المقدسة التى كانوا مجتمعين فيها أولا مع الرب ، وفيها دخل عليهم والأبواب مغلقة ، كمثل عبيد يتذكرون المكان الذى كانوا فيه مع سيدهم منتظرين رجاء الموعد وهم فرحون .

وقد كانت سيدتنا مريم أيضا مع نسوة تقيات مواظبات مع الرســـل على الصلاة والطلبة بنفس واحدة منتظرين جميعاً موعد الروح القدس ، وهم مشتاقون لما سمعوه من الرب أن به الغاية فى معرفة الكمال ، وهو المرشد إلى الحق ، فإن به يعطون قوة نشر البشرى فى أقطار الأرض كلها .

نعظم الآن يا أحبائى صعود الرب يسوع المسيح ونعيّد له بكل الوقار والإكرام ، لأن به شرف ورفع طبيعتنا الأرضية الهالكة وجعلها فاضلة سمائية كما يقول الرسول « إن الله الغنى برحمته من أجل كثرة محبته لما كنا أمواتاً بخطايانا أحيانا بنعمته وأحبنا وأقامنا وأجلسنا مع يسوع المسيح » (أف ٢ : ٤) .

نسجد ونمجد الذى خضعت له الملائكة والرؤساء والقوات . نخرج مع رسله عقلياً خارجاً عن المدينة ـ الذى هو الخروج عن سيرة العالم الحسى ـ ثم نصعد إلى

الجبل- الذى هو ارتقاء العقل عن الرذيلة - إلى علو الفضيلة ليبارکنا مع خواصه الأطهار الأفاضل ونسجد له معهم . ثم نرتل مع النبي المرنم داود قائلين « عظموا الرب إلهنا واسجدوا فى جبله المقدس فإن الرب إلهنا قدوس » (مز ٩٩ : ٩) وأيضا نقول ندخل إلى مظلته ونسجد فى موضع قدسه ثم نصعد إلى العلية ونمكث ناظرين نحوه وله مترجين لكى يمنحنا موهبة روح قدسه ، حتى يرشدنا إلى البر والحق إذ أن الرسول يعلمنا بمثل ذلك قائلا « إن كنتم قد متم مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله واهتموا بما فوق لا بما على الأرض » فإذا سمعت بالجلوس عن يمين الله فلا تظن أنه يمين محسوس لأن داود يقول « يمين الرب رفعتنى يمين الرب صنعت قوة » فلا تفتكر فى شىء محسوس ولا يمين ضد اليسار بل يعنى باليمين القوة والرفعة وأن الجسد الذى كان أسفل الكل صيره فوق جالساً يعلو الكل وبولس يفسر هذا قائلا « إنه أجلسه عن يمينه فوق فى السموات فوق الرؤساء والملائكة والمسلطين وفوق كل اسم يسمى وكل شىء أخضع تحت قدميه » أعنى باليمين الرفعة والقوة والشرف الذى أعطى للجسد المتحد به لأنه باللاهوت هناك لم يزل .

فلنرفض عنا الآن دنس العالم ولنطلب الشرف الذى صار لنا لئلا نكون نحن السبب فى هلاك نفوسنا وحدنا .

نحفظ أجسادنا نقية وأرواحنا طاهرة مضيئة لأجل الذى اتحد بجبه بالبشرية ورفعها إلى السماء العلوية .

فنصنع صلحاً وسلاماً مع بعضنا لأجل الذى صعد إلى السموات وصير الأرضيين واحداً مع السمائيين .

نرحم أهل الفاقة من أجل الذى رحمنا وأعطانا كل شىء بسعة غناه لحاجتنا .

نسلك أمامه فى سبيل مستقيم لكى يجعلنا مستحقين الإرتقاء إلى السبل العلوية السمائية ، التى تقدمنا فيها رئيس الحياة الأبدية مخلص كل البرية . نحب النقاوة والطهارة ونجاهد على حفظها لكى يشرق فينا نور نعمته فى علية نفوسنا ويملأنا من موهبة روح قدسه .

ننطق بمجده ونتكلم بعجائبه ونخبر بقوة خلاصه وعظم ذراعه ونتلو ما صنع من أجلنا لكى نستحق الشركة مع رسله الأطهار الذين كرزوا باسمه بين الملوك والسلاطين وكافة الشعوب باجتهاد ومحبة كل أيام حياتهم . إذ أن الرسول يفتخر بذلك ويتلو فى هذه الألفاظ قائلا : « عظيم هو سر التقـــوى ، الله ظهر فى الجسد وتبرر بالروح وتراءى للملائكة وبشروا به فى كل الأمم وآمن به العالم وصعد فى المجد» (١ تى ٣ : ١٦) .

ونحن نسأل ربنا يسوع المسيح الذى صعد إلى السموات ، أن يصعدنا بقوته من بحر هذا العالم المهلك . ويثبت فى السبيل المستقيم أقدامنا . ويغفر ما تقدم من قبيح أعمالنا . ويساعدنا على العمل برضاه وحفظ وصاياه ، ويرحم كافة بنى المعمودية الذين رقدوا على رجاء الإيمان باسمه القدوس بشفاعة سيدتنا الطوباوية البتول القديسة مريم والدة الخلاص . وكافة الرسل الأطهار والشهداء والقديسين الأبرار آمين .

بسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين .

ميمر العنصرة أو حلول الروح القدس

للاب المكرم القس بولس البوشى

صلاته وبركاته تشملنا إلى النفس الأخير آمين

أيها الروح القدس المنبثق من الآب ، الملك السماوى روح الحق ، الحاضر فى كل مكان ، مالىء الكل كنز الصالحات ورازق الحياة ، هلم واسكن فينا وطهرنا من كل دنس أيها الصالح وخلص نفوسنا .

يا من منح التلاميذ حكمة فاضلة حتى صاروا معلمين ومرشدين لكل المسكونة ، امنح أيها الروح المحيى عبيدك تدبيراً يؤول إلى الحياة الأبدية حتى نحيا بك .

هبنى أنا الحقير أن أتكلم بكرامتك أيها الروح الحق المتكلم فى النفوس والأنبياء والقديسين إلى الأبد .

أعطنى معرفة يا من يعطى كل المواهب الفاضلة لكى أعلن مجدك المتساوى مع الآب والإبن فى الجوهر والقدم والأزلية .

إلهمنى منطقاً يا من ولدتنا ميلاداً ثانياً لا يبلى لرجاء حياة لا تفنى ، وبك نجسر أن ندعو الله أبانا ، لكى أنطق بجلال كرامتك وقوة أفعالك الكائنة فى كل مكان .

أيها الروح القدس المنبثق من الآب أبدياً والمستقر فى الإبن أزلياً سرمديا بوحدانية الجوهر بلا ابتداء ولا انتهاء .

أنت هو روح الحياة روح الطهارة روح العفاف روح القوة روح المواهب الفاضلة الكثيرة الأنواع روح الرسالة روح النبوة روح القداسة روح المعرفة

وح الحكمة روح الثبات روح الصبر روح الإيمان الفاعل بكل سلطان وقدرة وجبروت ليس كالخادم بل كالمتسلط الحاضر مع كل أحد ، وكائن فى كل مكان . المحتوى على كل شىء ولا شىء يحويه . القوى الذى لا يمانع والفاعل فى الملكوت الذى لا يحد البسيط فى طبعه ، العظيم فى أفعاله ، الجبار فى اقتداره ، معدن العطايا الفاضلة ، وينبوع المواهب العالية ، المعطى نطقاً للأنبياء ، وبشرى للرسل وتشجيعاً للشهداء ، وعفة للبتوليين ، ونسكا للقديسين ، الفاعل فى رتبة الكهنوت ، الوالد المعمدين بنين لله وبواسطته نكمل الذبيحة من مشارق الشمس إلى مغاربها ومن شمالها إلى جنوبها .

روح البر والحق البارقليط المعزى المنبثق من الآب نسجد له ونمجده مع الآب والإبن كما سلمت إلينا الأمانة الأرثوذكسية .

وهكذا نؤمن أن الثالوث الأقدس لاهوت واحد لأن الله موجود ناطق حى سرمداً . فإذا قلنا الله فإنما نقول الآب والإبن والروح القدس ، لأن الخواص لا تزيد عن ذلك ولا تنضم أقل من هذا . ولسنا بهذا نعبد ثلاثة آلهة لئلا نكون كالوثنيين الذين يقولون بكثرة الآلهة . ولا نكون كاليهود الذين يجحدون كلمة الله وروحه . لأن الردىء فيهما متساوى(١) وإن كان قولهم مختلفاً . لأنا نستدل أن الله واحد ذو ثلاثة أقانيم وليس له مثيل فى هذا . وقد شبهوا هذا الاتحاد بنار وحرارة متولدة منها ونور منبعث . فالنار واحدة والخواص ثلاثة لجوهر النار الواحد . وحيثما يوجد اللهيب يوجد معه دائماً الحرارة والنور ، وإن كان القياس ليس هو كالمقياس به فى كل أبحاثه ، إنما يراد به وجه واحد لا غير لأنه لو كان القياس لا يخرج عن المقاس بشىء فى كل أنحائه كان إذاً هو الشىء نفسه الذى يراد به القياس !! فالثالوث يتعالى عن كل التشبيهات لكمال خواصه .

فلو أن جوهر الله سبحانه كان عدة أفراد لكان هذا نقصا وحاشا . ولكن لأنه لا مثيل له فقد وجب أن يتعالى فى صفة الكمال لا النقص . ولأنه ثلاثة أقانيم جوهر

---

(١) أى لا نؤمن بتعدد الآلهة ولا ننكر وجود الثالوث الأقدس .

واحد فقد علت صفته عن كل تشبيه ومثال ، لأنه لا سبيل أن يوجد فى كل البرايا جوهر واحد ذو ثلاثة أقانيم خاصية كاملة بغير تجزىء فى كل أنحائه .

فهذه هى صفة الله بالحقيقة بغير زيادة ولا نقص ، وقد كملت صفته فى أحد الوجهين (أى فى الوحدانية والتثليث) . أما فى الواحدة فلاتفاقها وملاءمتها فى كل الأنحاء موصوفة بها ذواتها أما فى الثلاث صفات التى للخواص الذاتية فلأجل كمالها لأن هذه الصفات ليست بعضاً من كل ، لأن التبعيد والتجزيء لا يلائم المحتوى على الكل إلا أن يحجزه شىء من غير جوهره بما يفوقه فى القدرة ويجل عليه فى القوة ، ومعاذ الله من ذلك . فإذا كان الأمر هكذا فقد صح أنها صفات ذات كاملة ، يظهر كمالها بوحدانيتها وتظهر خواصها بأقانيمها . وهى لضبطها وانبساطها واحتوائها واحدة فى جوهرها (أى مع وجود التثليث والتوحيد فالجوهر واحد) ، كاملة فى فعالها ، لاهوت واحد فى صفاتها .

وإن قال قائل لماذا أثبتم أن الله متكلم حى والكلمة والحياة قديمان معه فأوجبتم لكل صفة أقنوماً فهو إذاً سميع عليم بصير ، فى حال الأزلية والقدم ، فأوجبوا لهذه الصفات(١) أقانيم ؟! نرد عليه قائلين إنما الكلمة والحياة صفتان ذاتيتان وأما غيرها فهى أفعال صادرة عن الصفات لأنه لا يكون واضع الناموس إلا متكلم ، ولا يأمر وينهى إلا ناطق ، ولا سميع عليم إلا حى . فيصدر عنه لهذه الصفات وغيرها لافتعالها منه(٢) .

وكذلك يقال إنه خالق بالكلمة ذى الحياة كقول داود النبى « بكلمة الله خلقت السموات وبروح فيه كل جنودها » (مز ٣٣ : ٦) ومكتوب أيضاً « أنه قال فكانوا وأمر فخلقوا » (مز ٣٣ : ٩) والكتاب المقدس فى سفر الخليقة يقول

---

(١) السائل يقول بما أنكم اعتبرتم النطق والحياة أقانيم فيجب أن تكون كل الصفات أقانيم.

(٢) فيرد عليه بأن الصفات الأخرى غير ذاتية أى أنها ليست هى ذات الله وجوهره إنما هى صادرة عن الأقانيم كصفة الخلق والقداسة ـ فهى ليست أقانيم بل صفات أو أفعال صادرة .

« وقال الله ليكن نور فكان كذلك » (تك ١ : ٣) وقال ليكن كذا فكان . فخلقها إذاً بكلمته وأحياها بروحه . فصح إذاً أن الكلمة والروح صفتان ذاتيتان يصدر عنهما كل الأنواع الموصوفة عن الإله .

وداود النبي يقول « أرسل كلمته فشفاهم وأنقذهم من الفساد » (مز ١٠٧ : ٢٠) وعن الروح يقول « ترسل روحك فيخلقون وتجدد وجه الأرض » (مز ١٠٤ : ٣٠) .

هذه كلمة وجيزة عن الثالوث الأقدس وعن الكلمة الذى كان رمزاً فى كتب الأنبياء ، ثم ظهر بالتجسد الإلهى العجيب . ثم نعود إلى موضوعنا وهو شرف هذا العيد المجيد أعنى البارقليط المعزى روح القدس المتكلم فى الناموس والأنبياء ، كما هو مكتوب فى بدء سفر الخليقة « فى البدء خلق الله ذات السماء وذات الأرض وكانت الأرض خالية خاوية وكانت الظلمة غاشية وجه الغمر وروح الله يرف على وجه المياه .

ومكتوب أيضاً فى السفر الأول وكلم الله نوحاً قائلا « إن روحى لا يحل فى هؤلاء القوم » (تك ٦ : ٣) ومكتوب أيضاً فى السفر الأول « إن فرعون قال لعبيده لأجل يوسف بن يعقوب إسرائيل « هل يوجد مثل هذا رجلا فيه روح الله » (تك ٤١ : ٣٨) ومكتوب فى السفر الثانى : وكلم الرب موسى وقال له أعلم أنى انتخبت بصلئيل بن أورى بن حور من سبط يهوذا وأسبغت عليه روح الله وملأته من الحكمة والعلم فى كل عمل ليعمل الصناعات فى عمل آنية الذهب والفضة والنحاس وفى نقش الحجارة التى فى القبة ونظمها وكالها ونجارة الخشب ليعمل كل الأعمال التى أمرتك لصنع القبة » (خر ٣١ : ٢ - ٥) ومكتوب فى السفر الرابع : وكلم الله موسى وقال له اجمع سبعين شيخاً من شيوخ بنى إسرائيل الذين تعرف أنهم رؤساء الشعب فقدمهم إلى قبة الشهادة وهناك أقدمك وأفيض عليهم من الروح الذى عليك يعنى روح النبوة لأنه روح واحد فاعل فى الكل فيحملون معك ثقل هذا الشعب . . .

وجمع موسى سبعين شيخاً من شيوخ بنى إسرائيل وأقامهم أمام الله ، ونظر الله

وكلمه من الغمام ثم أفاض من الروح الذى عليه وجعل على السبعين شيخاً . فلما حل عليهم الروح تنبأوا وتأخر منهم اثنان فى المحلة لم يحضرا ، اسم أحدهما الداد واسم الآخر ميداد لم يأتيا إلى القبة وتنبآ فى المحلة ، فجاء الخبر إلى موسى أن الداد وميداد تنبآ فى المحلة . فقال يشوع بن نون خادم موسى بنقاوة لموسى ياسيدى اقمعهما فقال له موسى لا تحسدهما ليت الله جعل شعبه كله أنبياء لأن الله قد أفاض روحه عليهما فتنبأ (عد ١١ : ٢٩) .

ومكتوب أيضاً فى آخر السفر الخامس بعد موت موسى أن يشوع بن نون امتلأ من روح الحكمة من أجل أن موسى جعل عليه اليد فأطاعه بنو إسرائيل وفعل كما أوصى الله موسى (تث ٣٤ : ٩) .

ومكتوب أن صموئيل النبى كان عليه روح الله ودبر الشعب جيداً وكان الله معه وحافظاً للشعب كل أيام حياة صموئيل . ولما مسح صموئيل النبى شاول بن قيس ملكا قال له هذه علامة أن الله يكمل لك ذلك ، هوذا تذهب فى الطريق فتلاقى جماعة أنبياء يتنبأون ويحل عليك الروح وتتنبأ معهم. ولما ذهب وجد كما قال له وحل عليه الروح القدس وتنبأ معهم (١صم ١٠ : ٦) لان هذا الروح الواحد الفعال فى النبوة والملك والكهنوت .

وأيضاً مكتوب لما مسح صموئيل داود بن يسى ملكا ووضع عليه اليد وصلى عليه حل عليه الروح القدس فتنبأ وبدأ يقول المزامير من ذلك اليوم (١صم ١٦ : ١٣) وأن روح الله انتزع من شاول الملك عندما خالف كلمة الله ولم يعمل بها (١صم١٦ : ١٤) ولأجل هذا الروح كان داود يتضرع إلى الله عندما أخطأ أن يجدده فيه بالتوبة لئلا يناله ما أصاب شاول الذى تقدمه . فتاب بقوة ورجع رجعة فاضلة وكان يتضرع قائلا « قلباً طاهراً أخلق فىّ يا الله وروحاً مستقيما جدده فى أحشائى ، لا تطرحنى من يديك ولا تنزع عنى روح قدسك ، اعطنى بهجة خلاصك وبروحك القادر ثبتنى » (مز ٥١ : ١٠) وقال « روحك الصالح يهدينى إلى سبل الإستقامة »

(مز ١٤٣ : ١٠) ، وقال من أجل الروح أيضاً « فتحت فمى واستنشقت روحاً لأنى أحببت وصاياك » (مز ١١٩ : ١٣١) .

وإشعياء يقول «منذ بدأت لم أتكلم فى خفية بل أرسلنى وروحه » (إش ٤٨ : ١٦) وقال : « ويحل عليه روح الرب روح الحكمة والفهم ، روح المشورة والقوة ، روح المعرفة ومخافة الرب » (إش ١١ : ٢) وقال « روح الرب علىّ من أجل هذا مسحنى وأرسلنى » (إش ٦١ : ١) . وقال « هذا عهدى معهم يقول الرب روحى الذى هو عليك وكلامى الذى وضعته فى فمك » (إش ٥٩ : ٢١) ، وقال أيضاً فى إشعياء عن اليهود « إنهم أغاظونى وأغضبوا روحى القدوس » .

وحزقيال يقول : « وأخذنى الرب بالروح إلى وادى مملوء عظاما وقال لى تنبأ يا ابن آدم وقل لها أيتها العظام اليابسة اسمعى كلمة الرب » (حز ٣٧ : ٤) .

وقال حزقيال أيضاً « فدخل علىّ روح الله وقال قل هكذا يقول الرب » وقال أيضاً « وحملنى إلى أرض الكلدانيين فى السبى فى الرؤيا بروح الله » (حز ١١ : ٢٤) ، وقال أيضاً « أنضح عليكم ماء نقيا وأجعل لكم قلباً جديداً فأعطيكم روحا جديداً وأمنحكم روحى » (حز ٣٦ : ٢٥ ، ٢٦) .

ويقول الرب فى دانيال « مكتوب لأجل سوسنة أن الله نبه روحا قدوسا فى فتى يدعى دانيال » (دا ١٣ : ٤٥) ، ودانيال النبى يقول لنبوخذ نصر ملك بابل إن حكماء بابل ليس فيهم روح الله ، ولذلك لا يعرفون الغيب ولا يقدرون أن يقصوا الرؤيا التى رأيت أيها الملك » (دا ٢ : ٢٧ ، ٢٨) .

وأيضا مكتوب « إن الروح القدس الذى كان على إيليا تضاعف دفعتين على اليشع تلميذه » (٢ مل ٢ : ٩) ، وكيف يفسر ذلك وإيليا إلى اليوم أكبر من اليشع ؟ ! فاعلم إذاً أن الكتاب لم يقل شيئا باطلا وإنما تضاعف الروح فى فعل الايات وذلك أن إيليا صنع سبع آيات مشهورة ، وصنع اليشع أربع عشرة آية معلومة !! لقد أقام إيليا بصلاته ميتاً واحداً وأقام اليشع اثنين . إلا أن فعل الايات ليس كما يشاء النبى بل كما يشاء الروح الفاعل فيه .

وقال ميخا النبي « لـكننى أنا ملآن قوة روح الرب » (مى ٣ : ٨) .

وقال حجى النبي من أجل أنى معكم يقول الرب ضابط الـكل وروحى حال فى وسطكم » (حج ٢ : ٥) .

وقال الله فى زكريا « اقبلوا كلامى وشرائعى وكل ما أوحيت به عبيدى الأنبياء بروحى » (زك ٧ : ١٢) .

وقد أردت أن أطنب القول فى فعل الروح القدس ، كما ورد فى الأنبياء لـكن خشيت من التطويل ، هذا الروح الذى منه تعطى كل المواهب الفاضلة كما يقول بطرس الرسول « لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس » (٢ بط ١ : ٢١) .

ولنختصر الآن فى ذكر الأنبياء ونتكلم فى فعل الروح القدس مع الرسل لإظهار ونبين ما هو التفاضل الذى بينهم وبين الأنبياء لأن أولئك كانوا يتكلمون حين حلول الروح عليهم بما هو مزمع أن يكون وأما الرسل فكان الروح حالا فيهم دائماً مستمراً وذلك لأنهم تقلدوا تدبير كل المسكونة بالبشرى الإنجيلية والتعليم والتعميد ووضع يد الرئاسة وفعل الآيات كما شهد لهم الرب بذلك قائلا : « إنى معطيكم البارقليط يثبت معكم إلى الأبد . روح الحق الذى لا يطيق العالم أن يقبله لأنهم لم يروه ولم يعرفوه ، وأنتم تعرفونه لأنه مقيم عندكم وهو فيكم » (يو ١٤ : ١٦) فقد صح أنه ثابت معهم إلى الانقضاء .

ثم منحهم رئاسة وقوة أفضل من الأنبياء كما شهد بولس الرسول قائلا : « أما نحن الذين لنا باكورة الروح » (رو ٨ : ٢٣) ، أعنى أن الله شرف الرسل فوق كل الرتب كما قال « إن الله ربنا يسوع المسيح الذى سيظهر فى وقته ، الله المبارك العزيز وحده ملك الملوك ورب الأرباب الذى وحده لا يتغير ساكنا فى نور لا يدنى منه ، الذى لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه . الذى له الكرامة والقدرة إلى أبد الابدين آمين » (١ تى ٦ : ١٥) .

لذلك فإن الروح القدس لا يستطيع أحد أن يراه كما قال الرب « إن الريح تهب حيث تشاء وتسمع صوتها ولا تعلم من أين تأتى ولا إلى أين تذهب » (يو٣ : ٨) .

لقد اصطفى الرسل كما هو مكتوب « ولما شاء الله الذى أفرزنى من بطن أمى ودعانى بنعمته لكى أبشر به بين الأمم » (غلاطية ١ : ١٥) .

وقال الرب لحنانيا عن بولس الرسول « إمض إليه فأنا انتخبته ليكون لى إناءاً مختاراً ليحمل اسمى فى الأمم والشعوب وبنى إسرائيل » (أع ٩ : ١٥) .

وجاء فى سفر الأعمال « وفيما هم يصومون ويصلون ، قال الروح القدس افرزوا لى برنابا وبولس للخدمة التى دعوتهما إليها » (أع ١٣ : ٢) .

والآب دعا الشعوب كما يقول الرسول « إن الله بحق صادق وبه دعيتم إلى مشاركة ابنه يسوع المسيح ربنا » (٢ تس ٢ : ١٤) ، وقال « أنتم أيضا مدعو و يسوع المسيح ربنا . إلى جميع من برومية أحباء الله مدعوين قديسين » (رو١:٦).

وقال رب المجد « ليس أحد يعرف الآب إلا الابن ولا الابن إلا الآب . ومن أراد الابن أن يعلن له » (متى ١١ : ٢٧) .

وقال عن الروح « إذ جاء ذاك فهو يشهد من أجلى ويخبركم من أجل الآب علانية » والرسول يقول « لأن مَن من الناس يعرف أمور الإنسان إلا روح الانسان الذى فيه . هكذا أيضا أمور الله لا يعرفها أحـــد إلا روح الله » (١ كو ٢ : ١١) وقال أيضاً « الروح يفحص كل شىء حتى أعماق الله » (١ كو ٢ : ١٠) ، وهو تعالى فاحص القلوب والكلى كما هو مكتوب ، وكذلك الابن لا يحتاج إلى أحد يشهد له عن الإنسان لأنه يعرف ما فى الإنسان ، ويقول الرسول « لأن كلمة الله حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذى حدين وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ومميزة أفكار القلب ونياته ، وليست خليقة غير ظاهرة قدامه . بل كل شىء عريان ومكشوف لعينى ذلك الذى معه أمرنا » (عب ٤ : ١٢) ، والروح القدس فاحص القلوب والكلى كما يقول الرسول « أما نحن فإن الله أظهر لنا ذلك بروحه لأن الروح يفحص كل شىء حتى أعماق الله »

(١ كو ٢ : ١٠) والرب يقول عنه « إنه يأخذ مما لى ويخبركم » (يو ١٦ : ١٥) ، والرب يقول « كل غرس لم يغرسه أبى السماوى يقلع » (مق ١٥ : ٣) وقال أيضاً «لا يقدر أحد أن يقبل إلىّ إن لم يجتذبه الآب الذى أرسلنى » (يو٦ : ٤٤) وقال أيضا «كل ما يعطينى الآب فإلىّ يقبل ، ومن يقبل إلىّ لا أخرجه خارجا » (يو ٦ : ٣٧) وقال « يا أبتاه الذين أعطيتنى حفظتهم ولم يهلك منهم أحـــد إلا ابن الهلاك » (يو ١٧ : ١٢) ، وقال لبطرس « إن لحماً ودما لم يعلن لك ، لكن أبى الذى فى السموات » (متى ١٦ : ١٧) ، وقال عن ذاته الواحد مع الآب « بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً » (يو ١٥ : ٥) ، وقال « أنا هو الطريق والحق والحياة . لا يقدر أحد أن يأتى إلى الآب إلا بى » (يو ١٤ : ٦) ، والرسول يقول « ولكن الآن فى المسيح يسوع أنتم الذين كنتم قبـــلا بعيدين صرتم قريبين بدم المسيح » (أف ٢ : ١٣) ، وقال « لأنه هو سلامنا الذى جعل الاثنين واحداً ونقض حائط السياج المتوسط » (أف ٢ : ١٤) .

ولأجل الروح يقول الرب « وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق » (يو ١٦ : ١٣) ، والرسول يقول « وليس أحد يقدر أن يقول يسوع رب إلا بالروح القدس » (١ كو ١٢ : ٣) ، وقال وهذه الأشياء التى يتكلم بها ليست بتعليم كلمة الناس بل هى بتعليم الروح وقال « أنتم لستم للجسد بل للروح » .

وهنا نعلم مساواة الثالوث الأقدس. الآب مولود منه والابن بلا ابتداء ومنبثق منه الروح أزلياً وهو باق دائم بلا انتهاء . وهو المتكلم عن الآب الآخذ مما للابن المرشد إلى الحق الناطق فى الناموس والأنبياء والرسل والقديسين . جيلا بعد جيل بلا انقضاء. واضع ناموس كامل روحانى. معلم الرسل منير بشرى الإنجيل، الذى يجدد فى الأطهار خلقة جديدة . الذى يعطى بسعة واقتدار بغير امتنان . الفاعل فى كل مكان وكل زمان . الذى يهب الصلاة للمصليين والبركة للقديسين ، الذى هو فصاحة الرسل الأطهار فى النداء بالبشرى حتى بلغ قولهم إلى كل الأرض ، وسمع صوتهم فى أقطار المسكونة فى مدة يسيرة من الزمان ، وخضع لهم الملوك الأكاسرة والولاة الجبابرة

والحكماء والفلاسفة والبسطاء والأميين بما أعطوه من القوة ، وأخذوه من المعونة . كما هو مكتوب إن الله يعطى كلمة للمبشرين بقوة عظيمة ، وأيضاً مكتوب إنى أنطق بشهاداتك أمام الملوك ولا أخزى ، وأيضا مكتوب بشرت بعدلك فى بيعة كبيرة ولم أمنع شفتى . وأيضاً قال عنهم « خرجت أصواتهم فى كل الأرض وبلغ كلامهم أقطار المسكونة » (مز ١٩ : ٤) .

هؤلاء بحق أنهار الحياة الخارجة من أورشليم الذين أرووا كل الأرض كما تنبأ حزقيال . الجميلون فى إنذارهم بالخيرات العتيدة ، كما أنبأ إشعياء النبى قائلا « ما أجمل أقدام المبشرين بالخيرات » . الينابيع الحلوة التى أخبرنا بها موسى أول الأنبياء قائلا إنهم لما عبروا بحر سوف نزلوا على إثنى عشر عين ماء وسبعين نخلة (خر ١٥ : ٢٧) نبوة عن الاثنى عشر رسولا والسبعين تلميذاً الذين منهم استقى العالم التعاليم الروحية. هم فرسان الرب الإله ومركبته الذين حملوا اسمه القدوس فى أقطار الأرض . الجند المحقون للملك السمائى الذين جاهدوا بقوة فى مكافحة أعداء سيدهم وهدموا كل علم مضاد للحق ، ونقضوا الحصون المنيعة التى أوثقتها الشياطين فى نفوس البشر . وسبوا كل رأى كان عابثاً وأقبلوا به إلى معرفة المسيح. رسل الرب الخصيصون الذين أرسلهم ليدعوا المدعوين إلى العرس السمائى . . خدامه الماضلون الذين خدموا باهتمام فى الشعب المسيحى . . أهل بيته المطلعون على سره الخفى . . ملح الأرض ونور العالم الذين أنارروا ظلمتنا القصوى وأرشدونا إلى نور الهداية .. رؤساء أئمة كل المسكونة الذين ولدوا الجميع فى بدء البشرى . . الرعاة الذين أؤتمنوا على القطيع الروحانى . . الصخور الثابتة التى عليهم وضع المسيح أساس كنيسته . مهندسو الميناء الوثيق الذى للبيعة كما شهد الرسول قائلا « أنا وضعت الأساس وآخر يبنى عليه ، فإنه لا يستطيع أحد أن يضع أساساً آخر غير الذى وضع الذى هو يسوع المسيح (١كو٣ : ١٠)

نجدهم فلاحين لأنهم نقوا أرض قلوبنا وزرعوا فيها الزرع الإلهى ، نجدهم سقاة للمسيح الملك لأنهم سقوا نفوسنا من ماء ينبوع الروح القدس . نجدهم كرامين لأنهم تعبوا وعملوا فى كرم نفوسنا . نجدهم خاطبين لأنهم خطبوا نفوسنا نقية للختن السمائى المسيح كما يقول الرسول «إنى أغار عليكم غيرة الله لأنى خطبتكم لرجل واحد

لأقدم عذراء عفيفة للمسيح » (٢ كو ١١ : ٢) ، نجدهم شفعاء عنا عند المسيح كما يقول الرسول « إنما رسل وشفعاء عند المسيح » نجدهم الذين أعطوا الحياة للبشر فى بشرى الإيمان وصبغة المعمودية ووضع يد الرئاسة وتناول الأسرار المقدسة . وبالجملة نجدهم كاملين فى احتواء الفضائل والمواهب المختلفة .

هم رسل وأنبياء ، ورؤساء ومعلمو البيعة ، وشهداء وقديسون ، وكل الفضائل والمواهب المتفرقة فى الناس نجدها مجتمعة فيهم حتى لا يفوتهم شىء من الفضائل ، ويعلوهم أحد من البشر . لأنه هكذا قد سر الرب الإله أن لا يكون المبشرون باسمه فلاسفة من حكماء هذا العالم . لأنهم لو كانوا كذلك لكانت أقوالهم متناقضة بعضها مع بعض . كما نجد أقوال الفلاسفة الواحد الواحد يبطل قول الآخر ويزدرى به ويعظم نفسه عليه . وذلك لأن حكمتهم ليست من الله ، ولو كان الإيمان بحكمة الناس وتدبيرهم لما كانت له جدوى ولا منفعة ، لأن بطرس الرسول يعلمنا فى هذا المعنى قائلا « لأننا لم نتبع خرافات مُصنعة إذ عرفناكم بقوة ربنا يسوع المسيح » (٢ بط ١ : ١٦) .

وبولس الرسول الذى كان حجة فى الناموس يكتب قائلا « وأنا كما أتيت إليكم أيها الاخوة أتيت ليس بسمو الكلام أو الحكمة منادياً لكم بشهادة الله . لأنى لم أعزم أن أعرف شيئاً بينكم إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً » (١ كو٢ : ١و٢) .

ثم أن كرازة الرسل أيضاً لو كانت معاضدة بقوة السيف وسطوة الإرهاب حتى يرغموا الناس على الدخول إلى الإيمان ، شاءوا ذلك أو لم يشاءوا ، لكان ذلك مشابهاً لعبادة الأوثان التى قامت بالسيف منذ نحو ثلاثة آلاف سنة من بعد الطوفان إلى مجىء ربنا يسوع المسيح . بل نجد الشهداء الأطهار ، وقد استشهدوا وضربت أعناقهم وهم صابرين ثابتين على الإيمان بربنا يسوع المسيح .

ولقد اختار الله رسله قوما أميين ضعفاء ، لا بصيرة لهم بشىء مما فى هـــذا الوجود ، فقواهم وعضدهم بما منحهم من موهبة الروح القدس ، وقهر بهم الفلاسفة ، حتى خضعوا لهم ، وغلب بهم سطوة الملوك والولاة أصحاب السيف حتى أذعنوا

لكرازتهم . ولهذا يقول الرسول « ولكن لنا هذا الكنز فى أوان خزفية . أعنى فى جسم حقير ضعيف . ثم قال لكى تكون عظمة الموهبة من الله لا منا . فهذا كان الإيمان نعمة صادقة من قبل الروح . وقد سمى روح الآب وروح القدس لأنه واحد فى اللاهوت ، كما يقول بولس الرسول « إن لم يكن روح الله فيكم وإلا أنتم مرذولين لأنه إن لم يكن فى الإنسان روح المسيح فليس هو من الله .

وبطرس يقول « ذلك الخلاص الذى التمسه الأنبياء وجعلوا يفحصون روح المسيح ، وقدموا الشهادة على آلام المسيح وعلى مجده » (١ بط ١ : ١٠ ، ١١) . فهو هذا الروح الواحد المتكلم فى الناموس والأنبياء والرسل، وكافة القديسين إلى الأبد .

فلنعيّد لهذا العيد الآن بفرح روحانى كما يلائمه ، حتى نستحق موهبة الروح مع الرسل الأطهار ، ولنتأمل كيف أن الرسل الأفاضل الكاملين الذين لم يبق عليهم ناموس لأن أعمالهم هى فوق الناموس ، ومع هذا كانوا يكرمون الأعياد الإلهية جيداً . لقد كتب بولس الرسول لأهل كورنثوس (١ كو ١٦ : ٧ ، ٨) يقول « إنى سأبقى فى أفسس إلى عيد البنطقستى ، أعنى هذا العيد الشريف ، ولم يرتض أن ينتقل إلى مكان آخر حتى يعيده كما يليق . وكتب القديس لوقا فى سفر الأعمال « لما أقبل بولس إلى جزيرة كورس ينادى بالبشارة قال كان الرسول مجتهداً أن يعبر أفسس حتى لا يبطىء فى آسيا ، لأنه كان يريد أن يعمل يوم عيد البنطقستى فى أورشليم » (أع ٢٠ : ١٦) .

تأمل أنه مع مشاغل الخدمة فى الكرازة ومصاعبها التى كان يتحملها الرسول ، كان مع كل هذا مجتهداً فى إكرام الأعياد الإلهية الشريفة لعلمه بكرامتها . فكم بالأحرى ينبغى لنا أن نهتم بها بنقاوة القلب لكى نتقدس بتذكارها الصالح . لأن بعض لابسى الروح قالوا « كما أن الملك ينعم بعطاياه فى المناسبات الملكية وأيام الأفراح والمواسم على خواصه ، كذلك يفيض الله بمواهبه الروحانية على أولاده الصانعين وصاياه فى الاعياد الإلهية الشريفة .

فينبغى لنا أن نعيد الآن بنقاوة روحانية ، موافقة للروح فى عيد حلول الروح المعزى حتى يحل فينا ويطهرنا وينقينا من أوساخنا . لنحفظ الجسد طاهراً ، لأنه هيكل الله للروح القدس حتى يحل فينا . لنحفظ النفس وكل الحواس نقية لكى نشارك الروح القدس أرواحنا ، ونستحق ميراث البنوة فى الملكوت الأبدى .

والرسول يعلمنا بمثل هذه التعاليم قائلا : « فلنمش الآن بالروح ونوافقه بروح ضميرنا ، ونحذر أن نصنع ضد ذلك لئلا يسخط الروح القدس ، إذ يقول « لا تسخطوا روح الله الذى به ختمتم ليوم النجاة ، بل كل تذمر وفرية فلينزع ذلك منكم مع بقية الشرور .

لنرحم أهل الفاقة لكى نكمل مشورة الروح ونستحق الرحمة لأن الرحمة تفتخر فى الدينونة ، كما يقول يعقوب الرسول . لنصنع سلاما وصلحاً مع اخوتنا لكى يصنع الروح سلاما وصلحاً فى نفوسنا المقاتلة معأوجاع أجسادنا . ولنعز المتضايقين والمحبوسين بافتقادنا حتى يعضدنا الروح القدس المعزى ويقوينا فى شدائدنا ، فقد كتب « اسند صغيرى الروح بكلمة تسندك اليمين القوية » . ولنغار على السيرة الروحانية التى فيها سلك الآباء الأفاضل لابسى الروح ونتشبه بهم ليكون لنا ميراث ونصيب معهم فى المظال الأبدية .

ونحن نسأل ربنا يسوع المسيح الذى افتقدنا بتحنن رحمته من علوه القدوس أن يجدد فينا موهبة الروح ويطهر نفوسنا ، ويغفر لنا خطايانا ، ويتجاوز عن سيئاتنا ويسامحنا عن هفواتنا ، ويمنحنا سيرة روحانية بقية أيام حياتنا ، وينيح أنفس أمواتنا من كافة بنى المعمودية الذين رقدوا على رجاء الايمان باسمه القدوس . ويجعلنا مستحقين سماع صوته المملوء فرحاً القائل « تعالوا إلىّ يا مباركى أبى رثوا الملك المعد لكم من قبل إنشاء العالم.. بشفاعة سيدتنا الطاهرة البتول القديسة مريم . وشفاعة الرسل الأطهار وكافة الشهداء والقديسين الأبرار . آمين .

فى هذا الكتاب

الموضـــوع	صفحة
الأنبا بولس البوشى أسقف مصر وأعمالها . . .	٤
مؤلفات الأنبا بولس البوشى	٦
ميمر البشارة المحيية	٩
« الميلاد المجيد	٢١
« الغطاس المجيد	٣٦
« الشعانين	٤٨
« الصلبوت	٥٥
« القيامة المجيدة	٧٨
« الصعود المجيد	٩٩
« العنصرة أو حلول الروح القدس . . .	١٠٨

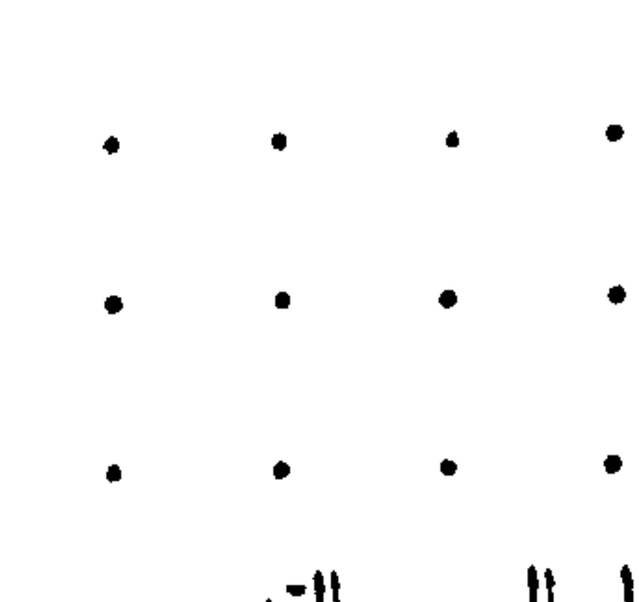

رقم الايداع بدار الكتب ٣١٧٣ / ١٩٧٢